منهج الدعاة إلى الله

في رحاب سورتي الكهف والقصص

الدكتور محمد صالح الخضري

تقديم

الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات

الدكتور عبد الستار أبو غدة

دار النفائس

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

منهج الدعاة إلى الله

في رحاب

سورتي الكهف والقصص

كل الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

دار النفائس
للنشر والتوزيع الاردن

العبدلي - مقابل عمارة جوهرة القدس
ص.ب : ٢١١٥١١ عمان ١١١٢١ الأردن
هاتف : ٤٠ ٣٩ ٦٩ ـ فاكس : ٤١ ٣٩ ٦٩

ـ مقدّمة

بقلم الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد:

فهذه تأملات في سورتي الكهف والقصص كتبها الأخ الكريم والصديق العزيز الدكتور محمد الخضري، والدكتور الخضري من الأطباء المتخصصين في أمراض الأنف والأذن والحنجرة. ولقد قضيت بصحبته إجازة من إجازات الصيف في ربوع تركية، ولقد لفت انتباهي حرصه على التعرف على كتاب الله والاطلاع على علومه، والتأمل في آياته .

وليس غريباً أن يكون لأطبائنا ومتخصصينا في شتى فنون المعرفة وقفات مع كتاب الله، ونظرات في دلالاتها وهداياتها، وإنما الغريب ألا يكون ذلك، لأن القرآن الكريم كتاب الله الخالد هو خطاب للناس جميعاً ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وقد جمع الله فيه من المعاني والدلالات والتوجيهات ما لا تحيط به العقول على مر الزمان وتعاقب الأجيال، ومن ثم جاء فيه: ﴿ **قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف: ١٠٩]، وجاء فيه أيضاً: ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[لقمان: ٢٧].

فالقرآن إذا محدود بألفاظه وكلماته، وليس محدوداً بمعانيه وتوجيهاته، ومن ثم فقد كان مورداً لكل شارب، وغاية لكل قاصد، فأقبل عليه العلماء والمفكرون في كل عصر ومصر يتدبرون آياته، ويغوصون على معانيه وتوجيهاته، ويملؤون الكتب والأسفار بما استنبطوا من مكنون علومه، وذخائر كنوزه وفهومه، وما يزال القرآن الكريم غضاً طرياً كما أنزل، وما زال غنياً يُمُّد الدارسين والمتدبرين بالمعاني التي لا تنفد، والإيحاءات التي لا تبلى، وما زال يلبي حاجة الأمة في مواجهة التحديات.

ولقد سرّني الدكتور الخضري بهذه التأملات، وأشجعه على المضي في هذا النهج الذي كان نهج علمائنا ومثقفينا خلال العصور، فلقد كان التأمل في القرآن مجالاً مشتركاً لكافة المتخصصين وقد عرف من الأطباء وأصحاب التخصصات الأخرى من كانت له في فهم القرآن وتفسيره جولات وجولات وقد سئل علي ـ كرم الله وجهه ـ : « هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندكم شيئاً من الوحي لم يبلغه ؟ فقال: لا والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إلا فهماً يؤتيه عبداً في كتابه » . ولا بد لمن أراد أن يضرب بسهم في هذا المضمار من أن يعد لذلك العدة، وأن يأخذ نفسه بكل ما يتطلبه فهم النص من لغة وعلوم، ولا بأس أن يستكمل ذلك أثناء الممارسة والمعاناة، وأن يستعين بأهل التخصص، وأن يرجع إلى المصادر والمراجع التي تقفه على ما يريد الوصول إليه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مقدمة بقلم الدكتور عبدالستار أبو غدة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن هذه التأملات التي وردت بخصوص سورة الكهف قد حققت الهدف في إبراز وحدة الموضوع في تلك السورة العظيمة، وهو موضوع الدعاة إلى الله في مختلف الأحوال والظروف.

وإن المنهجية التي التزمها الكاتب في استعراض التأملات وإظهار الترابط بين آيات تلك السورة قد التزم فيها بضوابط التفسير بالرأي المعروفة، وفي الوقت نفسه قد تجاوزت الأسلوب المألوف في التفسير، وانتهجت أسلوبا ميسرا يسهل على المسلم المعاصر فهم الآيات وإدراك منهج الهداية الذي جاءت به السورة، وهي تسهم في تعميق المعاني الواردة في السورة وتؤكد تكاملها لتكون نسيجا مترابطا يجمع القضايا الإيمانية والفكرية والعلمية التي تتعلق بموضوع الدعاة إلى الله.

إن هذا الجهد الطيب يعتبر إضافة جديدة ومفيدة إلى مكتبة المسلم المعاصر، لأنها تسهم في تجاوز ضعف الصلة القائمة بين عامة المسلمين وبين القرآن الكريم، وخاصة أبناء الأمة الإسلامية من غير الناطقين باللغة العربية ممن يحول حاجز اللغة بينهم وبين إدراك المعاني والإيحاءات في آيات و سور القرآن العظيم.

الدكتور عبدالستار أبو غدة

المستشار الشرعي ومدير إدارة التطوير والبحوث دلة البركة

مقدمة المؤلف

إن القرآن الكريم قد أنزل ليكون هداية لمن آمن، وإعجازاً لمن جحد وكفر، ولذلك يبرز في القرآن جانب الهداية إلى جانب الإعجاز. ولما كان من المعروف أن ترتيب الآيات في كل سورة من سور القرآن الكريم توقيفي على الرغم من أنه قد أنزل منجما، فإنه لا بد من إدراك أهمية ذلك الترتيب عند التأمل في السورة، من أجل إدراك مقصودها الشامل، ومحور الهداية الرئيسي فيها.

إن كل سورة من سور القرآن الكريم تشتمل على العديد من الموضوعات والقضايا التي يصعب الربط بينها لأول وهلة، ولكن من يتلوها في تدبر وخشوع، وإقبال على اللّه، وحرص على تلمس جوانب الهداية فيها، يحس بروح تسري في آيات تلك السورة من خلال ترابط جوانب الهداية في جميع آيات السورة.

إن هذا الأمر يشير إلى أن وحدة الموضوع في السورة تتحقق من خلال إدراك محور الهداية الرئيسي في تلك السورة، وهو أمر يصعب تحققه بأي منهجية أخرى وخاصة بالنسبة للناشئة من أبناء المسلمين من غير الناطقين باللغة العربية.

إنه بسبب حاجز اللغة وطبيعة القرآن المتميزة والفريدة في الإحاطة بالعديد من الموضوعات العقدية، والفكرية، والنفسية، والعملية، ذوات العلاقة المباشرة بموضوع السورة، فإن الإحساس بوحدة الموضوع في السورة بغير إدراك للمحور الرئيسي فيها، يصبح أمراً بالغ الصعوبة، وخاصة بالنسبة لهؤلاء الناشئين.

إن الاهتمام بإدراك محاور الهداية في سور القرآن الكريم، قد بدأ قديماً في كتاب (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) للفيروزأبادي، وظهر حديثا في تفسير (في ظلال القرآن) لسيد قطب، كما تناوله الشيخ محمد الغزالي في كتابه (كيف نتعامل مع القرآن).

إن إدراك محاور الهداية في سور القرآن الكريم من خلال التأمل في آيات السورة يحقق فوائد جليلة، **نورد بعضها فيما يلي:**

١ - المساعدة على إبراز الصلة بين جميع آيات السورة الواحدة، فيؤدي ذلك إلى متابعة المعاني، والتعرف على جوانب الهداية الواردة في آيات تلك السورة، وهو أمر يساعد على الخشوع بالإضافة إلى إدراك مقصود كل آية فيها، و مثال ذلك سورة العاديات، فعندما ينتهي القارئ من تلاوة الآيات الأخيرة من السورة، فإنه يجد نفسه أمام مشهد البعث من القبور، ثم الحساب بناء على ما استقر في الصدور، فإن استرجاع المشهد الكريم لخيل الجهاد يمتطيها المجاهدون في سبيل اللّه، والوصف المذموم للإنسان الكافر والجاحد، فإن إدراك هدف السورة يدفع باتجاه الربط بين اختيار الإنسان في الدنيا وبين الجزاء في الآخرة.

إن هذا الربط بين الموقف في الدنيا والمصير في الآخرة، قد جاء نتيجة لإدراك هدف السورة، أو محور الهداية فيها، وهو (الإقبال على اللّه، والعزم على المشاركة في الجهاد)، وهو يؤدي بالتالي إلى إدراك مقصودها الذي أنزلت من أجله.

٢ - إن إدراك وحدة الموضوع عند تلاوة السورة، يشكل حافزاً للاستمرار في التلاوة، وبخاصة بالنسبة لغير الناطقين باللغة العربية. وإن هذا

الأمر يكون ألزم عند تلاوة طوال السور، ومثال ذلك ما نجده في سورة الكهف فموضوعها الذي تدور آياتها الكريمة حوله هو (منهج الدعاة إلى اللّه)، عندما يدرك القارئ أن الآيات الواردة في أول السورة تتحدث عن المفاهيم التي يجب أن يعلمها الداعية في جميع أحواله، وأن القصص التي وردت في السورة تصف الأحوال التي قد يجد الداعية نفسه أمام واحد منها، وأن الآيات التي تصف مشاهد القيامة وأقسام الكفر، تصفها من المنظور الذي يفيد الداعية في دعوته.

إن إدراك محور الهداية في السورة يساعد على التركيز وحسن المتابعة والخشوع، وحصول فهم أشمل للسورة، على الرغم من طولها وتعدد الموضوعات التي وردت فيها، وإن الناشئين الذين اعتادوا على إدراك وحدة الموضوع أثناء قراءتهم للسورة سوف يندفعون لمتابعة تلاوتها لاستكمال فهم موضوعها.

٣ - إن إدراك محور الهداية الرئيسي للسورة يساعد على ضبط مفهوم كل آية بسياق المعنى العام، وإن هذا الأمر يساعد على حصول فهم أشمل وأوضح لمقصود الهداية في كل آية، أو مجموعة من الآيات في تلك السورة، وهو بالتالي يؤدي إلى الوقاية من الشطط في فهم الآيات، أو الاستشهاد بها أو فهمها فهماً مخالفاً لمقصودها الشرعي، أو استنباط أحكام غير صحيحة، أو غير دقيقة منها، وبخاصة تلك الآيات التي تترتب عليها أحكام تحدد علاقة المسلم بأمته ومجتمعه، أو غيرهم من الأمم أو الملل الأخرى.

إن إدراك منهج الهداية في السورة يحفظ الناشئة من أبناء المسلمين من الغلو والتطرف نتيجة للاجتهاد الفردي الخاطئ في فهم الآيات الكريمة أو التفريط

واللامبالاة نتيجة لحملات التضليل والغزو الفكري في غياب التعليم والتوجيه الشرعي الصحيح لفهم آيات القرآن الكريم.

مثال ذلك، قوله تعالى ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

إن هذه الآية قد أسيء فهمها وأسيء استعمالها عندما أخذ منها حكم من أحكام التعامل مع الأعداء، من غير أن ينضبط فهمها بسياق المعنى العام للسورة والمتعلق بموضوع القتال.

وبعد فهذه تأملات أتقدم بها إلى الناشئين من أبناء الأمة الإسلامية، وبخاصة من غير الناطقين باللغة العربية، آملا أن يجدوا فيها عونا على مزيد من الفهم لكتاب اللّه العزيز والحب لآياته الكريمة.

نسأله تعالى أن يتقبل منا ما أصبنا فيه، وأن يغفر لنا إن نسينا أو أخطأنا، وأن يعلمنا ما جهلنا إنه هو العليم الحكيم.

د. محمد الخضري

منهج الدعاة إلى الله

في رحاب

سورتي الكهف والقصص

فضل سورة الكهف

وتحديد محور الهداية فيها

لقد جاء في الحديث الصحيح في فضل سورة الكهف قوله ﷺ: (من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال)، أخرجه مسلم. والمراد: أن حفظها يكون عاصماً من فتنة المسيح الدجال، وفي لفظ: (من قرأ عشر آيات من آخر سورة الكهف حفظاً لم تضره فتنة المسيح الدجال)، ويروى في الأثر أن سورة الكهف: «لن تتلى في الأرض في الأسبوع الذي يظهر فيه الدجال».

وفي هذا إشارة إلى أهمية سورة الكهف، في مواجهة أهل الكفر والضلال إلى يوم القيامة.

إن المتأمل في آيات سورة الكهف، يجد أن الآيات التي وردت في بدايتها قد أوضحت المفاهيم التي تكلف المؤمن القيام بواجب الدعوة إلى الله، وتحمي عقيدته من الانحراف، وتحفظه من الإحباط أو الضعف والانتكاس.

أما الآيات التي وردت في نهاية السورة فقد أشارت إلى المفاهيم الأساسية للعقيدة الصحيحة، وهي الغاية العليا التي يتحمل الداعية مسؤولية الدعوة إليها والعمل بها.

ويجد المتأمل في القصص الرئيسة التي وردت في السورة، أنها تقدم نماذج فريدة متباينة من الدعاة إلى الله، في أربعة أحوال وظروف مختلفة، تمثل نبراسا يهتدي به الدعاة في كل زمان ومكان، وهي: قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة موسى عليه السلام والرجل الصالح، وقصة ذي القرنين.

إن من يتأمل في سورة الكهف يجد أنها قد أحاطت إحاطة شاملة بموضوع الدعاة إلى اللّه، وأن تلاوتها مع استحضار موضوع الدعاة إلى اللّه محور جامع للهداية فيها، يؤدي إلى الشعور بوحدة الموضوع، ويتحصل بذلك فهم أكمل وأشمل، لمقصود الهداية في كل آية من آياتها، ويبدو ذلك واضحاً مع استعراض مجموعات الآيات في السورة الكريمة، **وهي كما يلي:**

١: الآيات ١ – ٨	مفاهيم إيمانية للداعية.
٢: الآيات ٩ –٢٦	أصحاب الكهف: دعاة في مجتمع يحارب الدعاة إلى اللّه.
٣: الآيات ٢٧ – ٣١	توجيهات للمؤمنين الدعاة في مجتمع يحارب الدعوة إلى اللّه.
٤: الآيات ٣٢ – ٤٤	انموذج للداعية في مجتمع مادي كافر يسمح بحرية العقيدة وحرية الدعوة.
٥: الآيات ٤٥ – ٤٦	مفاهيم تحفظ المؤمن الداعية من الانحراف في مجتمع مادي.
٦: الآيات ٤٧ – ٤٩	مشاهد يوم القيامة: البعث و الحشر والحساب.
٧: الآيات ٥٠ – ٥٩	أقسام الكفر وأصناف الكفار: كفر استكبار، كفر شرك، كفر إنكار بغير علم، كفر إعراض وسخرية.

٨: الآيات ٦٠ – ٨٢	موسى والرجل الصالح: انموذج لمسيرة خير تجمع الدعاة في عمل مشترك.
٩: الآيات ٨٣ – ٩٩	ذو القرنين: قصة الحاكم الداعية إلى اللّه.
١٠: الآيات ١٠٠-١٠٦	أسباب الضلال والخلل في منهجية التفكير.
١١: الآيات ١٠٧ – ١١٠	مرتكزات ومفاهيم العقيدة الصحيحة: الإيمان والعمل الصالح، والرسالة والرسول.

المجموعة الأولى

مفاهيم إيمانيـــة للداعية: الآيات (١ – ٨)

إن هذه الآيات تحدد مفاهيم وضوابط، تؤهل الداعية لتحمل أعباء الدعوة إلى اللّه، وتهبه القدرة على تحمل الأذى والابتلاء، والصمود أمام الإغراء.

أ) مفاهيم تتعلق بالعقيدة:

الآيات (١ – ٥) تؤكد على الآتي:

١ – القرآن كتاب اللّه المنزل من عند اللّه، وهو منزه عن النقص، وهو المرجع ومعيار التقييم للأعمال عنداللّه. ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا**﴾ [الكهف: ١-٢].

٢ – الحذر من أهل الكتاب وضلالاتهم وشركهم باللّه ﴿ **وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**﴾ [الكهف: ٤].

ب) مفاهيم تتعلق بالصبر والثبات.

الآيات (٦ – ٨) تؤكد على الآتي:

١ – الحصانة ضد مشاعر الأسف والإحباط بسبب إعراض الكفار والمشركين، وعدم استجابتهم، فلا ييأس الداعية ولا يتوقف عن الدعوة. ﴿ **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا**﴾ [الكهف: ٦].

٢ - الزهد في المال والجاه، من خلال الإحساس بأنهما مرتبطان بمفهوم الابتلاء في الدنيا والحساب في الآخرة، فلا يضعف الداعية أمام المغريات. ﴿**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا**﴾ [الكهف: ٧-٨].

٣ - اليقين بزوال متاع الدنيا ومغرياتها، وأن الباقي هو ما أريد به وجه اللّه، فلا يضعف الداعية أمام ضغوط الأذى والبلاء، ويشعر بالقوة في مواجهة أهل القوة والجبروت.

معاني ودلائل

آيات هذا المقطع

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾[الكهف: ١].

- عوجا: انحرافا واختلافا.

الاعتقاد الجازم بأن القرآن الكريم لا عوج له، ولا عوج فيه، وأنه منزه عن القصور والنقص.

﴿ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا، مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢-٣].

- قيما: مستقيما .

وأن هذا القرآن هو القيم الذي تنضبط به الأمور، وتقيم الأعمال عند اللّه بموجب ما ورد فيه، مع التأكيد على البشرى لمن آمن وعمل صالحا والوعيد لأهل الكفر والضلال.

﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلاَ لأَبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا﴾ [الكهف: ٤-٥].

إن في هذا مثالا على مدى الكذب الذي بلغه أهل الكفر والجهالة عندما تجرؤوا على الكذب على اللّه، فقالوا اتخذ اللّه ولدا. وفي هذا أيضا تأكيد أهمية تحري العلم من مصادره الموثوقة، والالتزام بالصدق في كل أحوالهم حتى لا يضلوا كما ضل أهل الكتاب.

﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

- باخع: مهلك، أسفا: حزنا .

إن الاستجابة لمشاعر الأسف والاحباط بسبب إعراض أهل الكفر والضلال، قد ينتهي ببعض العاملين في مجال الدعوة إلى اليأس من متابعة العمل، فيكون في ذلك هلاك وضنك في الدنيا بسبب الحزن والأسف وعقاب في الآخرة بسبب ترك العمل.

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الكهف: ٧].

إن اليقين بأن جميع ما في هذه الحياة الدنيا من زينة وأموال وسلطان هو من فضل اللّه وعطائه، وإن ارتباط تلك الزينة بمفهوم الابتلاء في نفس الداعية يجعله زاهدا في الدنيا وزينتها، ويعينه على الثبات والصمود أمام اغراءات هذه الحياة، وبخاصة عندما يعيش في مجتمع مادي تفيض فيه مظاهر الغنى والترف لدى أهل الكفر والضلال.

﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٨].

- صعيدا جرزا: تصبح ترابا كالأرض الجرداء، تنزلق عليها الأقدام.

إنه تأكيد على أن كل ما في الأرض من جاه وسلطان وجبروت سيزول يوم القيامة، وستصبح الأرض صعيدا جرزا، أي أرضاً جرداء لا نبات فيها ولا حياة.

ان هذا المفهوم يجعل الداعية الذي يتعرض لظلم أهل الضلال وإيذائهم يستشعر قدرة اللّه المطلقة على تجريد أهل الكفر من سلطانهم، عاجلاً في الدنيا أوآجلاً في الآخرة، فيصبر على الأذى ولا يصيبه أسف ولا إحباط فلا ينتكس.

المجموعة الثانية

قصة أصحاب الكهف: الآيات (٩ - ٢٦)

أصحاب الكهف: دعاة في مجتمع يحارب الدعاة إلى الله

تتمثل في قصة أصحاب الكهف منهجية الدعوة وسلوك الدعاة وحركتهم في التعامل مع ذلك المجتمع الكافر المعادي للدعوة وللدعاة إلى اللّه.

﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا، إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا، فَضَرَبْنَا عَلَى ءَاذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ٩-١٢].

- الرقيم: اللوح الذي فيه أسماؤهم وقصتهم.
- فضربنا على آذانهم: أثمناهم انامة ثقيلة.
- بعثناهم: أيقظناهم.
- أمدا: مدة أو فترة أو زمنا .

ان المطلوب من المؤمن أن يكون جل اهتمامه منصبا على الجانب الإيماني في القصة، والمتمثل في استعانة أصحاب الكهف بربهم، يسألونه الرحمة والرشد، بعد أن أعلنوا عن دعوة الحق، فلاحقهم الطغاة ليثنوهم عن دينهم.

يجب أن يكون الاهتمام بهذا المعنى أكثر من الاهتمام بجانب الغرابة في

القصة والوقوف عنده، وذلك لأن التركيز على الجانب الإيماني، ينمي ويقوي جذوة الإيمان في نفس المؤمن، بينما الاستغراق في الاهتمام بجانب العجب والغرابة في القصة لا يفيد المؤمن كثيراً.

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣].

إن عناصر القوة لدى من يتحمل مسؤولية الدعوة إلى اللّه في البيئة المعادية لدعوة الحق هي: الإيمان الصادق، والهداية من اللّه بالإضافة إلى صفة الفتوة، وما تعنيه من قوة واستعداد للتضحية في سبيل اللّه. وإن في الآية إشارة إلى أن استقرار الإيمان في القلوب يؤدي إلى زيادة في الهدى من اللّه.

﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤].

- ربطنا: شددنا وقوينا.
- شططا: قولا بعيدا عن الحق .

لقد ربطت الآية بشكل مباشر لافت للانتباه بين الربط على قلوب المؤمنين وتثبيتهم، وبين قيامهم بواجب الدعوة إلى اللّه، والجهر بإعلان عبوديتهم لله وحده.

إن الآية تشير إلى أن الجهر بالدعوة إلى اللّه، أو القيام بأي أمر من الأمور التي أمر اللّه بها، مع وضوح مقتضيات الربوبية في نفس الداعية، سوف يستنزل التثبيت من عند اللّه، وزوال الخوف من نفس الداعية، وزيادة جرأته في الحق.

﴿هَؤُلاَءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلاَ يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

إن هذا هو منهج أهل الهداية والرشاد، في الحوار مع المعارضين من أهل الضلال، وأهم عنصر فيه هو طلب الدليل، من كفار قومهم لإثبات ادعائهم، وذلك لأن الادعاء على اللّه بغير دليل، يمثل أسوأ درجات الظلم.

وإن في هذا توجيهاً إلى إدراك أهمية تحري الدقة في كل ما يتم تبليغه عن اللّه، لأن التقصير في التحري يؤدي إلى قبول افتراءات أهل الكفر والضلال وكذبهم المتكرر والمتزايد، لأنه اعتقاد خاطئ بغير دليل.

﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ فَأْوُا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ، وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا، وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف: ١٦- ١٨].

- مرفقا: يسرا في المعيشة .
- تزاور: تميل وتعتدل.
- تقرضهم: تعدل عنهم وتبتعد.
- فجوة منه: متسع من الكهف .
- بالوصيد: بالفناء .

لقد تمثلت في هذه الآيات بعض مظاهر عناية اللّه بأصحاب الكهف، والتي اشتملت على مظاهر تخيف من ينظر إليهم، بالإضافة إلى وجود الكلب الذي يحرسهم، واستمرار تقليبهم ذات اليمين وذات الشمال، لحماية أجسادهم من التعفن والتقرحات بسبب طول الرقاد.

﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلاَ يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا، إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ١٩-٢٠].

لم يكن الإيواء إلى الكهف هروبا من القيام بواجب التبليغ، ولكنه القرار المناسب بعد أن قاموا بواجب التبليغ والدعوة إلى اللّه. لقد كان لجوؤهم إلى الكهف طلبا للرحمة من اللّه والحماية من أعدائهم. ولقد تحققت لهم الرحمة من اللّه، وتهيأ لهم الأمان في الكهف على مدى ثلاثمائة وتسع سنين وهم رقود، لا حول لهم ولا قوة، لا يدرون من أمرهم شيئا.

وفي هذا تصوير لعون اللّه ورحمته التي قد لا يشعر بها الدعاة إلى اللّه في كثير من الظروف والأحوال، ولكن عليهم أن يستشعروها دائما.

إن هجر أصحاب الكهف لقومهم وديارهم، واختفاءهم حدث بعد أن تأكد لهم أن قومهم سوف يرجمونهم إذا لم يعودوا إلى ملة الكفر والضلال.

إن اختفاء أصحاب الكهف قد أدى إلى استمرار الحديث عنهم، وعن دعوتهم بين الناس، وأنهم لو لم يهاجروا لرجموا ولطويت صفحتهم، وتوقف الحديث عنهم وعن دعوتهم، ولكن لجوءهم إلى الكهف قد أدى إلى استمرار

الحديث عنهم وعن دعوتهم بين الناس فآمن أكثرهم.

إن في هذا حكمة لطيفة للدعاة إلى اللّه في مثل تلك الظروف، ذلك أنه ليس المطلوب من الداعية أن يعرض نفسه للهلاك، تحت شعار الصمود والمواجهة، وإنما المطلوب منه هو استمرار الدعوة إلى اللّه، واختيار الموقف الأنسب لتحقيق ذلك الهدف، سواء أكان ذلك اختفاء أم صمودا أم مواجهة.

﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١].

لقد تولى اللّه سبحانه وتعالى أمر انتشار هذا الدين في تلك المدينة بدليل أن الذين غلبوا على أمر أهل تلك المدينة بعد مئات السنين قد اتخذوا عند قبور أهل الكهف مسجدا.

إن في هذا تطميناً لأصحاب الدعوات بقدرة اللّه على نشر الدعوة الإسلاميةإذا بذل الدعاة غاية الجهد في الإعلان عنها، حتى وإن رقدوا بعد ذلك في الكهوف أو أحاطت بهم الأسوار.

إن الاعتقاد الجازم لدى المؤمنين، بأن دعوة الحق سوف تنتصر بعون اللّه، ولو بعد حين سيكون حافزاً لهم على بذل غاية الجهد، تحت كل الظروف، ولن يتسرب الإحباط أو الأسف أو اليأس إلى نفوسهم.

﴿سَيَقُولُونَ ثَلاَثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ قَلِيلٌ فَلاَ تُمَارِ فِيهِمْ إِلاَّ مِرَاءً ظَاهِرًا وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا﴾[الكهف: ٢٢].

إن في الآية توجيها للمؤمنين بأن يكون هدف الحوار مع أهل الكفر والضلال هو تحري الحقيقة المدعومة بالدليل، وأن يتوقفوا عن الحوار عندما يصبح جدلا فارغا عقيما، وذلك لأن أهل الكفر والضلال لا يتورعون عن الكذب والافتراء وبخاصة في الأمور الغيبية.

ربما تكون الحكمة من وراء ذلك النهي ترجع إلى أن بعض المسلمين قد يركنون إلى وجهة نظر أهل الكفر والضلال، التي لا تستند إلى دليل، وبالتالي قد يصبح هناك توجه عند المؤمنين، إلى استفتاء أهل الكفر والضلال، في بعض القضايا الغامضة، أو التي لا يوجد لديهم نص واضح فيها، وبخاصة في بيئة معادية للإسلام ولإهله، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا**﴾[الكهف: ٢٢].

﴿**وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا، إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا**﴾[الكهف: ٢٣-٢٤].

في هذا توجيه للمؤمن بألا يجزم بشيء إلا بعد استشعاره عظمة اللّه، واعتقاده بمشيئته، وذلك لأن الغفلة عن ذكر اللّه عند العزم على أمر من الأمور، تعتبر تقصيراً في جنب اللّه، يقتضي حرمان العبد من عون اللّه، وهدايته إلى سبيل الرشد.

وإن في هذا اشارة إلى أن الغفلة عن ذكر اللّه تمثل بداية الانحراف عن منهج الهداية والرشاد.

﴿**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاَثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا**﴾[الكهف: ٢٥].

إن تحديد مدة نوم أهل الكهف، قد جاء ردا على استفسار قريش، وقد

جاء في الوقت والسياق الذي أراده اللّـه، إفحاماً للكافرين والمشركين، أما الحكمة من وراء طول تلك الفترة، فهي الإشارة إلى قدرة اللّه على إعادة الحياة للإنسان مهما طالت المدة.

وقد يكون لها علاقة بالمدة التي يمكن للجسم البشري أن يعيشها بعد مدة نوم طويلة مما قد يحدث مستقبلا مع تطور العلوم الطبية، وبذلك يكون إعجازا طبيا في القرآن لأهل ذلك الزمان، أو قد يكون لها علاقة بدورة التاريخ البشري وبخاصة في مجال العقائد والتحولات الانسانية. ومن المناسب هنا أن يشار إلى أن ثلاثمائة وتسع سنين قمرية تساوي ثلاثمائة سنة شمسية، وقد جاء بناء الآية موحيا بهذا المعنى في قوله تعالى : ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ . وإن في هذا الأمر نوعاً من الإعجاز العلمي في القرآن.

﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

إن الآية توجب رد الأمور إلى اللّه، لأن هذا من مقتضيات الإيمان، التي تستدعي اليقين بأن غيب السموات والأرض كله لله وحده.

ان النتيجة الطبيعية لمثل ذلك اليقين، هي التوجه الدائم إلى اللّه بالقلب والجوارح، وتعظيمه وتقديسه مع البراء من كل أشكال الشرك الذي يحجب الكافرين عن الولاء الكامل لله.

إن في هذه الآية توجيهاً للمؤمن، بأن يداوم على استشعار الولاء لله وتعظيمه وتقديسه وبخاصة في ظروف المواجهة مع أهل الشرك.

المجموعة الثالثة

في ظلال قصة أصحاب الكهف: الآيات (٢٧ - ٣١)

توجيهات للمؤمنين الدعاة في مجتمع يحارب الدعوة إلى الله:

تأتي الآيات التي أعقبت قصة أصحاب الكهف لتؤكد على ثلاث قضايا مهمة وهي:

الأولى: الحض على المداومة على تلاوة القرآن والإكثار من ذلك في ظروف المحنة والبلاء.

الثانية : التأكيد على أهمية التمسك بالعلاقة الأخوية الحميمة بين المؤمنين، والصبر على كل أذى ينتج عن هذه العلاقة أو الصلة.

إن هذا التكليف واجب على كل مسلم، ولا يستثنى منه خليفة أو أمير أو حاكم أو أي فرد من عامة المسلمين.

الثالثة : التأكيد على أهمية الدقة في إبلاغ الحق الذي أنزله اللّه في كتابه الكريم وعدم إجراء أي تعديل على ذلك البلاغ رغبة في إغراء الكافرين بالهداية أو رهبة من جبروتهم، وذلك لأن الجرأة على التعديل تحت ظروف الشدة والبلاء، تتزايد بمرور الوقت ويصبح التعديل منهجا منحرفا عند بعض أهل العلم، وهو ما أصاب الديانات السابقة من أهل الكتاب.

معاني ودلائل آيات هذا المقطع

﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَـدِّلَ لِكَلِمَاتِـهِ وَلَـن تَجِـدَ مِـن دُونِـهِ مُلْتَحَدًا﴾[الكهف: ٢٧].

● ملتحدا: ملجأ .

إن الداعية في ظروف العداء والايذاء يحتـاج لصفـات متميزة تعينـه علـى الصمود، وتحفظه مـن الانحـراف أو الضعـف والانتكـاس، وان المداومـة علـى تلاوة القرآن تلاوة تدبر وتعبد، هي الوسيلة لبلوغ ذلك التميز علـى مستوى صحة العقيدة، وحسن الصلة باللّه، ولا شك أنـه كلمـا اشـتد الأذى ازدادت حاجة الدعاة إلى مزيد من تلاوة القرآن وتدبره.

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَـن ذِكْرِنَا وَاتَّبَـعَ هَـوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

● فرطا: اسرافا .

إن في هذه الآية توجيهـاً ومنهـج حيـاة لكـل مسـلم، كمـا أن فيهـا أمـراً صريحاً إلى الرسول الكريم، بأن يحافظ علي الصلة القوية مع صحابتـه، بالمحبـة وحسن التعامل والتواصل معهم، وإن عليه أن يصبر على كل عنـت أو مشـقة أو أذى ينتج عن مثـل هـذه الصلـة الـتي تربطـه بأصحابـه الذيـن أخلصـوا لله دينهم، وأحسنوا العبادة والعمل.

وإن في هذه الآية نهياً عن القيام بأي تصرف يوحـي بالاسـتهانة بالعلاقـة

أو الصلة الحميمة مع المؤمنين بالالتفات عنهم، والتطلع إلى ما عند غيرهم من أهل الكفر والضلال. لقد جاء النهي عن مثل ذلك التصرف واستنكاره بشدة، حتى وإن كان الهدف منه تحقيق مصلحة للمسلمين.

انه لا يمكن أن تتحقق مصلحة للإسلام والمسلمين عند أهل الكفر والضلال، لأنهم لا يرتكزون في تعاملهم مع المسلمين إلى عقيدة ومبادىء، أو قيم عليا، بل هم منقادون دوما لأهوائهم، ولذلك كان أمرهم فرطا.

إن اللّه الذي يعلم ما تصلح به نفوس العباد وما يؤلف بين قلوب البشر يوجب على أولي الأمر ألا يستهينوا بمشاعر المسلمين لكي يحافظوا على وحدة الصف من خلال الاهتمام بكل ما يؤدي إلى تقوية العلاقة الحميمة بين المؤمنين سواء كان ذلك قولا أو عملا أو مجرد ايحاء، ان هذا الأمر يجنب الأمة الشقاق والاختلاف والفتن، ويحافظ على وحدة الأمة وتماسكها في وجه التحديات التي قد تتعرض لها.

وفي هذه الآية أيضا توجيه لكل مسلم بأن يلزم جماعة المسلمين، ويتمسك بارتباطه بالأمة الإسلامية، ويعتز بهذا الارتباط وبخاصة في ظروف التحدي والمواجهة مع أهل الكفر والضلال المستبدين المعتدين، وأن يصبر على كل عنت أو مشقة أو أذى ينتج عن صلته بهم.

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]

- سرادقها: سورها وحائطها.
- مرتفقا: مقرا .

إن الدعوة في مجتمع الكفر والضلال وما ينتج عنها من مواجهة وأذى وقيام العوائق الكثيرة في طريق الخطاب المباشر للناس، بالإضافة إلى كثرة وسائل التضليل والتشويش التي يملكها أهل الباطل، كل ذلك قد يجعل محاولة التحريف لرسالة السماء أمراً محتملا. لذلك كله جاء التوجيه الإلهي بأن يكون البلاغ عن اللّه متصفا بالقوة والدقة.

إن تبليغ الحق المنزل من عند اللّه دون زيادة أو نقص، هو الواجب المفروض على كل داعية. وان في قوله تعالى: ﴿**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ إشارة وتوجيه لكل من يتحمل أمانة الدعوة إلى اللّه بأن لا يؤدي به الحرص على استجابة الناس وعدم معارضتهم له إلى ادخال تعديل على الخطاب الإلهي بزيادة أو نقص. وإن الإلتزام بهذا المنهج قد حفظ القرآن من التحريف والتغيير في بداية الرسالة في مكة.

إنه يجب على الداعية أن يتحرر من الارتهان لرغبة الناس وأهوائهم، خوفا من الأذى أو طمعا في تحسين العلاقة معهم، وأن يتذكر دوما بأن الحق - سبحانه وتعالى - قد أعد جهنم لمن كفر، وأعد الجنة لمن آمن، لأن ذلك يساعد من يتحمل أمانة الدعوة أن يتسامى ويستعلي على مشاعر الضعف التي قد تتسرب إلى نفسه.

وإن تبليغ الحق بتلك الصورة لا يتعارض مع الحكمة واللين في الخطاب وحسن الأسلوب لقوله تعالى: ﴿ **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥]، وهو كذلك لا يتعارض مع التعامل الحكيم مع مقتضيات الواقع واختيار المقال المناسب لكل ظرف، ولكل حال لقوله تعالى: ﴿ **لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا**

كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، بشرط ان تبقى صفة البلاغ قوية ودقيقة كما أمر بها الحق سبحانه وتعالى.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً، أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٣٠-٣٠].

إن اليقين بأن الإيمان والعمل الصالح هما الوسيلة لبلوغ الجنة يدفع المؤمن إلى الاستمساك بهما مهما اشتد البلاء.

المجموعة الرابعة

قصة صاحب الجنتين: الآيات (٣٢ - ٤٤)

وتتمثل فيها منهجية الدعوة إلى اللّه في مجتمع كافر يتمتع بالثروة والجاه، ولكنه يسمح بحرية العقيدة وحرية الرأي، وحرية الدعوة إلى اللّه.

ويتضح من القصة أنه اذا كان الداعية فقيرا أو ضعيفا فإن مثل هذا المجتمع لا يستجيب للدعوة المباشرة. لذلك تقتضي الحكمة اختيار أساليب تتناسب مع إمكانيات وثقافة ذلك المجتمع المادي لأن نفسيتهم المرتبطة بقضايا المادة تستدعي أن يكون لدى الداعية فهم عميق لهذا النمط من النفسيات، وإدراك جانب الخلل في منهج الفكر عندهم، والعمل على إصلاح ذلك الخلل بمنهجية صحيحة.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا، كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلاَلَهُمَا نَهَرًا، وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف: ٣٢-٣٤].

إن الآيات الكريمة تشير بشكل مباشر ولافت للانتباه إلى المعايير المادية التي يعتمد عليها أهل الكفر والضلال في المجتمع المادي الوافر الثراء والقوة في تقييمهم للأمور التي يتعاملون بها.

إن إصرارهم على التمسك بتلك المعايير هو الذي يحجبهم عن الهداية، في حال عجزهم عن تطبيق تلك المعايير المادية على قضية الإيمان فإنهم

يتجاوزونها استعلاء واستكبارا على الحق، ثم يطبقون معاييرهم على الداعية ذاته وبصفته ممثلا لقضية الإيمان. وحيث إن الداعية إلى اللّه في هذه القصة قليل المال والجاه فلذلك قال له صاحب الجنتين أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا، وهو يعني بذلك أن إنكاره لوجود اللّه يدعمه قوة ماله وجاهه في مقابل قضية الإيمان التي لا ثروة ولا قوة تدعمها والتي يمثلها الرجل المؤمن القليل المال.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٥-٣٦].

● منقلبا: مرجعا .

لقد ظلم صاحب الجنتين نفسه بذلك المنطق المادي الذي أضله عن طريق الإيمان، ولكن هذا هو حال أهل الكفر والضلال في تجاوزهم للحقائق، فقد ادعى أن جنته لن تفنى أبدا لكي يؤكد استمرارية تفوقه على الرجل المؤمن، وبذلك خدع نفسه من خلال التأكيد على تفوق منطقه المادي في مواجهة قضية الإيمان. ومن أجل أن ينفي أهمية الإيمان وضرورته أنكر قيام الساعة، لأن إنكارها ينفي وجود حساب وجزاء، واستمرارا في اعتماده على المنطق المادي فإن صاحب الجنتين يفترض أنه اذا كان بعث ونشور وعودة إلى اللّه فإنه سيحوز على جنة أفضل من جنة الفقير بسبب تميزه وغناه في هذه الدنيا.

وهكذا ألقت الآيات السابقة أضواء ساطعة على نفسية كل كافر من أهل الثروة والقوة من تعال واستكبار على الحق، اعتمادا على المعايير المادية والمنطق المادي.

إنهم لا يتورعون عن الادعاء على اللّه بغير علم ظنا منهم أن ذلك يدعم منطقهم المادي كما ورد في بداية السورة في قوله تعالى: **﴿ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ**

اللَّهُ وَلَدًا. مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾[الكهف: ٥-٦].

﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾ [الكهف: ٣٧].

لقد انتقل الرجل المؤمن إلى أسلوب مختلف في الحوار يعتمد على المنطق العقلي الذي يرتكز إلى الحقائق الملموسة التي يدركها الإنسان بعقله وجوارحه، فطرح قضية خلق الانسان. إن طرح قضية خلق الإنسان قد جعل المعايير المادية التي اعتمد عليها «صاحب الجنتين » في رفضه للإيمان لا تصلح أن تكون أساسا في بحث هذه القضية، لأن الانسان حين خلق من تراب، ثم من نطفة لم يكن لديه مال ولا جاه، وبالتالي فإن المنطق المادي لا يمكن تطبيقه على جميع مراحل حياة الإنسان، وهكذا فند الرجل المؤمن حجة صاحب الجنتين الذي قال ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾.

إضافة إلى ذلك نجد أن التأمل في خلق الانسان من تراب، ثم من نطفة احدى القضايا التي لا يفسرها إلا الإيمان باللّه وبقدرته على الخلق، وأن صاحب الجنتين لا يستطيع انكارها، لأنه عاجز عن معرفة حقيقتها، وعن تقديم أي تصور أو تفسير بديل لقضية الخلق تلك.

﴿ لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٣٨].

بعد أن فند الرجل الصالح مقالة صاحب الجنتين «أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا » من خلال طرحه لقضية خلق الانسان، عاد إلى التأكيد على إيمانه بربه اعتزازا بهذا الإيمان، في اللحظة التي تم فيها تفنيد المعايير المادية التي يرتكز إليها صاحب الجنتين في كفره، وكأنها دعوة غير مباشرة إلى صاحب الجنتين أن لا يتوقف عند قضية خلق الإنسان، بل ينطلق منها لإعادة التفكير في قضية

الإيمان، لأنها الهدف الرئيسي لهذا الحوار.

﴿وَلَوْلاَ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا، فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا. أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾[الكهف: ٣٩-٤١].

- حسبانا: عذابا.
- صعيدا زلقا: ترابا أو أرضا ملساء .
- غورا: ذاهبا في الأرض .

حيث إن غرور صاحب الجنتين بثروته هو سبب الخلل في منهجية تفكيره الذي أدى به إلى الإشراك باللّه، فإن الآية تشير إلى الكيفية التي اتبعها الرجل الصالح في إصلاح ذلك الخلل ودوام الوقاية منه، **وذلك من خلال التأكيد على المفاهيم التالية:**

١ - إستشعار مشيئة اللّه المتحكمة في الرزق كلما تذكر الإنسان ثروته أو تحركت نفسه غرورا بما يملك.

٢ - اليقين بأن القوة لله جميعا، وأن القوة الذاتية التي تحقق بها ذلك الرزق وتلك الثروة فإن مصدرها هو اللّه وحده.

٣ - أن يتذكر دائما بأن الثروة يمكن أن تزول وتتحول عنه إلى غيره من الناس بمشيئة اللّه وقوته وقدره الذي لا يرد.

وبهذا يتم الارتقاء بالحوار إلى مستوى أرقى من المستوى المادي الذي يصر عليه صاحب الجنتين.

إن في هذا توجيهاً للدعاة بانتهاج أساليب مناسبة في الحوار والدعوة إلى الله.

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٢].

● احيط بثمره: اي أصابه التلف والهلاك

وكان قدر الله الذي لا يرد، وأصيب الثمروأصاب شجر الجنة، التلف، فكانت صدمة الخسارة المادية أشد عليه من مواعظ الرجل المؤمن، لأنه يزن الأمور بالمعايير المادية. وبناء على تلك المعايير فان استعلاءه وكبرياءه قد تحطم فأصبح مهزوما، يقلب كفيه على خسارته.

إن صاحب الجنتين قد تمادى في كفره يوم كان له ثمر كما ورد في الآية : ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[الكهف: ٣٤]، وندم على كفره يوم أحيط بثمره كما قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٢]، وفي هذا اشارة إلى نفسية أهل الكفر التي تزداد تعاليا واستكبارا بوفرة المال والجاه، وتنهار وتضعف عندما يزول ذلك المال والجاه وهو أمر يستدعي اختيار الوقت المناسب للحوار حول قضية الإيمان مع أهل الثراء والجاه.

لقد كان كمن لا يسمع ولا يبصر دلائل الإيمان يوم كان غنيا قويا، فلما ذهب ماله أفاق وأدرك الحقيقة، لأن الغشاوة زالت عن سمعه وبصره وبدأ يستجيب لنداء الإيمان.

﴿وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا، هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ [الكهف: ٤٣-٤٤].

● الولاية: الملك والسلطان، عقبا: عاقبة .

ويوم القيامة تكون الولاية لله الحق، حينئذ يعلم البشر أن الأمر كله بيد اللّه، فيجزل الثواب لمن آمن، ويجد الكافر نفسه بلا مال ولا رجال ينصرونه وتكون عاقبة أمره خسرا.

الخلاصة:

إن الإيمان باللّه وبالبعث وبالحساب والجزاء يوم القيامة هي القضايا الأساسية التي دار حولها الحوار بين الرجل المؤمن وصاحب الجنتين، وهي القضايا التي ينبغي أن يركز على طرحها كل داعية إلى اللّه، لأنه لا يستقيم إيمان الإنسان بدون أن تستيقن القلوب قيام الساعة والحساب والجزاء.

وإن موضوع خلق الإنسان هو المدخل المناسب للحوار مع الكفار من أهل الثراء، لأن الخلق هو القضية التي يمكن أن يجري عليها المنطق العقلي، وهي في نفس الوقت قضية إيمانية.

لقد تمثل في هذه القصة نموذج لكيفية إصلاح منهج الفكر عند صنف يقبل الحوار من أهل الكفر والضلال، ممن أصبحت لديهم قابلية للإصلاح، وإن تكثيف الدعوة في مرحلة الضعف التي تزول عندها الحواجز التي تحجب العقول عن إدراك الحقائق سيؤدي إلى هداية كثير من أهل الضلال.

المجموعة الخامسة

في ظلال قصة صاحب الجنتين. الآيات (٤٥ - ٤٦)

تؤكد الآيات أهمية وجود مناعة عالية عند الدعاة إلى اللّه أمام جميع المغريات في هذه الحياة الدنيا وزينتها المتمثلة في المال والبنين، وذلك من خلال إدراك حقيقة الحياة الدنيا والحرص على ما عند اللّه من ثواب ورضوان في الآخرة.

إن هذا المفهوم عند الداعية يحمي منهجه الفكري من الانحراف أمام فتنة المال والبنين في هذه الدنيا.

معاني ودلائل آيات هذا المقطع

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

● هشيما: يابسا .

إن في الآية دعوة إلى التأمل في دورة الحياة وسرعة زوالها، لكي تتكسر القناعات عند الإنسان بأن حياته ليست أبدية، وأن مآلها إلى زوال، وأن يستشعر قدرة اللّه في جميع أحواله وأوقاته، فيقبل على اللّه مخلصا له دينه، فلا تفتنه الدنيا أو تصرفه عن الآخرة.

إن الداعية إلى اللّه يحتاج إلى وضوح هذا المعنى في نفسه، وأن ينعكس ذلك على سلوكه، لكي يكون انموذجا صالحا في مثل ذلك المجتمع المادي.

﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ [الكهف: ٤٦].

ان الداعية في المجتمع المادي الذي تطغى عليه مظاهر الثروة والقوة يحتاج إلى تكريس قناعات راسخة ومستقرة في أعماق نفسه بأن المال والبنين زائلان كما تزول الحياة، وأما العمل الصالح فيستمر خيره للانسان ثوابا في الدنيا وأملا في رضوان اللّه وجنته في الآخرة. بذلك تصبح لدى الداعية مناعة قوية أمام اغراءات المال والجاه التي قد يتعرض لها في مسيرته في مثل هذا المجتمع.

المجموعة السادسة

مشاهد يوم القيامة : الآيات (٤٧ - ٤٩)

ان تلك المشاهد التي تبين حال أهل الكفر والضلال في الآخرة، تقلل من شأنهم ومن شأن جاههم ومالهم وسلطانهم في نفس الداعية إلى اللّه، وتملأ نفسه بالاشفاق والخوف من يوم الحساب، وإن هذا المفهوم يحافظ على منهج الفكر صحيحا عند الداعية إلى اللّه ويحميه من الانحراف إن تعرض لإغراء أو اشتد عليه البلاء.

معاني ودلائل آيات هذا المقطع

﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧].

إن أهل الكفر والضلال سوف يحشرون جميعا صاغرين يوم القيامة، وكذلك الجبال الشامخة سوف تسيرها قدرة اللّه، فلا ثبات للجبال ولاحول ولا قوة لأهل الكفر والضلال يوم القيامة.

﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا﴾[الكهف: ٤٨].

سوف يجزع أهل الكفر والضلال عندما يبعثون يوم القيامة ويعرضون صفوفا أمام اللّه في أرض المحشر، ويعلمون أن زعمهم بانكار يوم القيامة قد أوردهم النار.

إن هذا المشهد يقوي الداعية على تحمل الأذى والإنكار من الكفار لأنه يعلم أنهم سيعرضون يوم القيامة صاغرين مستسلمين. كما أن تلاوة هذه الآية على الكفار سوف تجعلهم يفكرون بجدية وحذر قبل الإعراض عن دعوة الحق.

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف: ٤٩].

إن هذا المشهد سوف يلقي في نفس الكافر خوفا يجعله مترددا قبل الإعراض عن هذا الدين، كما أن هذه الآية سوف تذكر الداعية وتحذره من التهاون في شأن دعوته ومن الذنوب صغيرها وكبيرها.

المجموعة السابعة

أصناف الكفار وعاقبة أمرهم: الآيات ٥٠ - ٥٩

إن الآيات هنا تشير إلى أقسام الكفر وأصناف الكفار بالنسبة لمواقفهم من القرآن والرسل من المنظور الذي يفيد الداعية إلى اللّه في دعوة أهل الكفر، واختيار الأسلوب الأمثل للتعامل مع كل صنف من تلك الأصناف الأربعة، **وهي كما يلي:**

١- كفر استكبار واستعلاء على أوامر اللّه عن علم، ويمثله ابليس اللعين وذريته.

٢- كفر شرك باللّه ويمثله عبدة الأوثان أو من يشرك أحدا من المخلوقات في صفة من صفات الربوبية أو الألوهية أو الملك التي اختص بها الخالق سبحانه وتعالى ذاته.

٣- كفر شك أو شرك أو إنكار لوجود اللّه تعالى بغير علم.

٤- كفر اعراض وتكذيب عن علم، وهو كفر من اتضحت له الحقيقة واستيقنتها نفسه، ولكنه أعرض عنها رغبة في الباطل وكرها للحق فجادل بالباطل ليدحض الحق، فلما عجز عن ذلك سخر منه ومن الرسل ومن الدعاة إلى اللّه.

وسنتناول هذه الأنواع الأربعة من خلال استعراض معاني ودلائل الآيات التي بينتها.

معاني ودلائل آيات هذا المقطع

١- كفر الاستكبار:

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً﴾[الكهف: ٥٠].

إن إبليس هو أعلم المخلوقات بربه ولكنه كفر لإنه رفض الانصياع والطاعة لأمر اللّه على الرغم من تحقق العلم له.

وفي الآية اشارة إلى قدرة إبليس على إضلال العباد لدرجة إقناعهم باتخاذه وأتباعه أولياء من دون اللّه، وان في هذا تنبيها لرجل الدعوة ان يحذر من تلبيس ابليس، وأن يتنبه لأساليب إبليس وأتباعه الماكرة في إضلال الناس، وما يقتضي ذلك من توضيح هذا الأمر، والإكثار من تحذير الناس من كيد إبليس الماكر اللعين، والتأكيد على أن مجرد العلم باللّه لا يعني الإيمان، بل لا بد من الانصياع لأوامر اللّه والخضوع له.

وإن حرص إبليس على إضلال العباد يرجع إلى عداوته لآدم، لأن طرده من رحمة اللّه كان بسبب رفضه السجود لآدم استكبارا على أمر اللّه واعتقادا بأنه أفضل من آدم، وبالتالي فهو يستصغر شأن آدم وذريته، ويلهو بهم، ليلحقهم بزمرته من أهل الكفر والضلال.

إن اللّه سبحانه وتعالى ينكر على هؤلاء الظالمين اتخاذهم إبليس وذريته أولياء من دون اللّه على الرغم من عداوته لهم، إنهم بذلك قد اختاروا أسوأ أنواع الكفر بديلا عن الإيمان.

﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[الكهف: ٥١].

إن فريقا من البشر ممن يتصلون بالجن ينخدعون بادعاء أعوانهم من الجن بأن اللّه قد أوكل إليهم القيام على أمر من أمور هذه الدنيا، فيتخذونهم أولياء من دون اللّه، فيطيعونهم، ويقومون بأفعال تتناقض وتتعارض مع ما أنزل اللّه على رسله.

ان في هذه الآية نفياً صريحاً لهذا الادعاء وتأكيداً، فالمعبودات التي لم تعبد من دون اللّه كالجن والأصنام لا تستحق شيئاً من الألوهية، فاللّه وحده الخالق، ولم يشاركه أحد في خلق السموات والأرض، ولم يكن أحد من هذه المعبودات حاضراً عند خلقه لهما، وما كان اللّه ليتخذ الطغاة الظالمين أنصاراً، فالجن الذين اختاروا طريق الضلال لا يصلحون أن يكونوا عونا على هداية أو رشاد. ويشمل هذا الخطاب كل من يدعي ذلك من الإنس.

٢- كفر الشرك باللّه:

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا، وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾[الكهف: ٥٢-٥٣].

● موبقا: مصير هلاك مشترك .

إن مشهد تخلي الشركاء عمن أشركوا يوم القيامة ودخولهم جميعا في النار بسبب ذلك الشرك سوف يجعل الكافر يعيد التفكير في شركه، ويجعل المؤمن حذرا من الوقوع في أي صنف من أصناف الشرك لأن العاقبة وخيمة على

من أشرك. هذا المشهد يعين الداعية على طرح قضية الإيمان بقوة على هؤلاء المشركين الذين استجابوا لمن أضلوهم سفها بغير علم، وبذلك تتهيأ نفسية الكافر لاستقبال نصائح الداعية وتذكيره.

٣- كفر جهالة بغير علم:

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[الكهف: ٥٤].

لقد جاء القرآن مفصلا لقضية الإيمان التي يجادل بها أكثر الناس، وإن الآية توضح للدعاة بأن فطرة الإنسان مجبولة على الجدل وطول الحوار حول كل قضية غريبة تطرح عليهم أو تصطدم بقناعاتهم أو عقائدهم.

وفي هذه الآية إشارة إلى أن عملية الإصلاح والهداية تحتاج إلى عرض متكرر ومتنوع لفكرة الإيمان وبأساليب وآليات متعددة، لأن القضية ليست مجرد إعلام وإخبار لأهل الكفر عن وجود اللّه ووجوب طاعته، ولكنها تستدعي إقناعا يؤدي إلى هدايتهم.

﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلاً﴾[الكهف: ٥٥].

ان هذا الصنف من الكفار ما زالت فطرته قابلة للهداية لأنه لا يوجد ما يمنعها من الإيمان، وإن اللّه سبحانه وتعالى لم يصبها بما أصاب به الصنف المذكور في الآية التالية من أهل كفر الإعراض من حرمان الهداية.

إن باب الإيمان سيبقى مفتوحا أمام الناس إلى أن يأتي قدر اللّه بالعذاب في الدنيا أو بالموت وعندها يقفل باب التوبة دونهم.

ان في هذا توجيها وتنبيها لرجل الدعوة إلى قابلية هذا الصنف للهداية لأنه لا يوجد مانع يمنعهم من الاستجابة لنداء الإيمان.

إن فطرة الانسان تبقى قابلة للاستجابة لنداء الإيمان إلى أن يعلم الحقيقة الإيمانية وتتضح معالمها في نفسه، فان أعرض عنها وسخر منها فسدت فطرته، وختم الله على قلبه وسمعه وبصره فلا يؤمن ابدا.

٤- كفر إعراض وتكذيب:

﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾[الكهف: ٥٦].

انه كفر من اتضحت له الحقيقة ثم أعرض عنها رغبة وحبا في الباطل وبغضا واستهزاءً بالحق. إن جدل الكافر انتصارا للباطل ليدحض الحق بالرغم من وضوح الحقيقة يعني أن كفره كفر إعراض وتكذيب، كما أن سخريته من دين الله ومن الرسل والدعاة يعني شدة بغضه لدين الله.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِأَيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[الكهف: ٥٧].

- أكنة: أغطية.
- وقرا: صمما .

إن من يصبح كفره كفر إعراض وتكذيب فقد ظلم نفسه، لأنه لن يكون قادرا بعد ذلك على الاستجابة لنداء الإيمان بسبب ما يجعله الله على قلبه من

حواجز فلا يستجيب إلى نصح أو إرشاد، وبالتالي فإنه لن يستجيب للهدى أبدا. وهؤلاء لا خير يرجى منهم ولا أمل في هدايتهم.

إن من يكن كفره إعراضاً وتكذيباً للرسول والرسالة فإنه يكون قد عطل عملية التفكير، وأوقف الاستجابة لمنطق العقل الذي يوجب على الإنسان أن يفكر بتجرد وموضوعية في كل ما يسمع. وهكذا لم يعد هدف العقل ومهمة الفكر عندهم هو البحث عن الحقيقة واستجلائها، وإنما أصبح مسخرا من أجل انتقاء الأفكار والعقائد التي توافق هواهم أو يتحقق بها إشباع نزعة الكبر عندهم، أو ما يتوافق مع ما يقوله أولياؤهم، وما يوحون لهم به من أفكار وعقائد.

إن مثل هذا الخلل في منهجية التفكير إذا استحكم عند الإنسان فإنه يؤدي إلى تعطيل عملية التواصل الطبيعية بين السمع والعقل، فيصبح كمن لا يسمع، فإذا سمع فإنه لا يعقل ما يسمع، ودلالة استحكام هذا الخلل هي السخرية والجدل بهدف الانتصار للباطل، وليس عنده أدنى رغبة في معرفة الحقيقة أو الالتزام بالحق.

﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾[الكهف: ٥٨].

هذه الآية تفتح باب الأمل، وتبين رحمة اللّه في عدم تعجيله العذاب، فالجزء الأول من هذه الآية يبين عاقبة الفئة التي يعلم اللّه عنها أنها ستؤمن، فجاء قوله تعالى بخصوصها **﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾**. .. الآية »، لأنه سبحانه وتعالى يعلم أن هناك فئة منهم سوف تؤمن فيغفر لهم ويشملهم برحمته.

وأما الذين كسبوا السيئات بكفرهم فما لهم الا النار لقوله تعالى في الجزء الأخير من الآيـــة: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً﴾.

إن هذه الآية تشير إلى عاقبة من آمن وعاقبة من كفر ممن ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً﴾[الكهـف: ٥٤]، وقولـه تعـالى: ﴿ وَمَـا مَنَـعَ النَّـاسَ أَن يُؤْمِنُـوا إِذْ جَـاءَهُمُ الْهُـدَى وَيَسْـتَغْفِرُوا رَبَّهُـمْ إِلاَّ أَن تَـأْتِيَهُمْ سُـنَّةُ الأَوَّلِـينَ أَوْ يَـأْتِيَهُمُ الْعَـذَابُ قُبُلاً﴾[الكهف: ٥٥]، والتي أشارت إلى الكـافرين كفـر شـك أو انكـار بغـير علم، فكان منهم الجدل بهدف معرفة الحقيقة، فآمنت طائفة منهم، وتمسكت طائفة اخرى بكفرها.

إن في الآية إشـارة إلى إمكانيـة إصـلاح منهجيـة التفكـير عنـد فريـق مـن هؤلاء الكافرين الضالين، فيؤمنون، فتشملهم رحمة اللّه، وتزول الحواجـز الـتي تحجب عنهم النور الذي يقذفه اللّه في قلب من صدق وآمن.

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَـاءَهُمُ الْهُـدَى وَيَسْـتَغْفِرُوا رَبَّهُـمْ إِلاَّ أَن تَـأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ أَوْ يَـأْتِيَهُمُ الْعَـذَابُ قُبُـلاً، وَمَـا نُرْسِـلُ الْمُرْسَـلِينَ إِلاَّ مُبَشِّـرِينَ وَمُنذِرِيـنَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُـزُوًا، وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِـدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً، وَتِلْـكَ الْقُـرَى أَهْلَكْنَـاهُمْ لَمَّـا ظَلَمُـوا وَجَعَلْنَـا لِمَهْلِكِهِـم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٦-٥٩].

أما الأقوام التي تجاوزت الحد في كفرهـا إلى الظلـم الـذي ورد في الآيـات (٥٦)، (٥٧) فأصبح كفرها كفر اعراض وتكذيب. فان اللّه سبحانه وتعـالى

قد أهلكهم بكفرهم وظلمهم في موعد محدد ومعلوم عنده من قبل، لأن اللّه سبحانه وتعالى يعلم أنهم لن يؤمنوا بعد أن جعل ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾ ﴿فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾.

المجموعة الثامنة

قصة موسى والرجل الصالح: الآيات (٦٠ - ٨٢)

أنموذج لمسيرة خير تجمع الدعاة إلى الله في عمل مشترك :

نجد في هذه الآيات وصفا للعلاقة بين الدعاة وتأكيدا على أهمية إدراك مفهوم الإمارة والطاعة في توصيف تلك العلاقة، وأما أحداث القصة فإنها تدور حول مفهوم الصبر المرتكز إلى اليقين بوجود حكمة لله في أقداره التي قد تخفى على الناس. وهو مفهوم يؤدي إلى صبر الدعاة وحسن إشاعة الظن بينهم عند المواقف التي لا تبدو فيها الحقائق واضحة جلية.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[الكهف: ٦٠].

- حقبا: زمنا طويلا .

ان الآية تشير إلى مدى عزم موسى عليه السلام وحرصه على لقاء الرجل الصالح ليتعلم منه مهما كلفه ذلك من وقت وجهد.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا، فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦١-٦٢].

- سربا: مسلكا .

هذه الآية توضح منهجية مناسبة في ترتيب اللقاء بين موسى والرجل الصالح حيث أنه قد تم تحديد المنطقة التي سيتم فيها اللقاء، وهي مجمع

البحرين، وتم تحديد المكان والزمان بوسيلة لا مجال لنسيانها، لأنها مرتبطة بالحوت الذي هو طعامهما في الرحلة، وأنه لا مجال لنسيانه الا لفترة محدودة.

وفي هذا تعليم للمؤمنين، وتأكيد على أهمية الدقة والحكمة في منهجية التعامل بين الدعاة.

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾[الكهف: ٦٣].

في الآية أنموذج لأدب المرافق مع أميره واعتذاره عن التقصير في إبلاغه بما حدث من أمر عجيب في حينه، وتوضيحه بأن السبب كان من الشيطان، و لم يكن إهمالا مقصودا، وبالتالي فإن موسى عليه السلام قد أعطى أنموذجا في حسن معاملة مرافقه، وتجاوزه عن ذلك التقصير بعد أن علم أن ذلك كان نسيانا.

إن عدم معرفة مرافق موسى للعلاقة بين الحوت ومكان اللقاء قد أسهم في العناء وطول السفر، فلو كان المرافق يعلم شيئاً عن تلك العلاقة لما توقف عند التعجب، بل إنه حتما سيخبر موسى بما حدث، وفي هذا إشارة إلى أهمية معرفة المرافقين للأمير لبعض التفاصيل الخاصة بمسؤولياتهم المباشرة، لأنها تسهم في دفعهم إلى متابعة تلك التفاصيل والتعامل معها في حينها ودون تأخير.

﴿ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[الكهف: ٦٤].

- قصصا: تتبع الأثر .

لم ينشغل موسى عليه السلام بلوم مرافقه على تقصيره، بل باشر العودة

متحريا مكان اللقاء، وعمل بالحكمة القائلة (الخيرة فيما اختاره اللّـه) ورضي بها.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَـاهُ رَحْمَـةً مِّـنْ عِندِنَـا وَعَلَّمْنَـاهُ مِـن لَّدُنَّـا عِلْمًـا﴾ [الكهف: ٦٥].

إن موسى عليه السلام نبي مرسل وهو يتصل بالسماء، ويتلقى رسالة تحتوي على أمور العقيدة والتشريع مباشرة عن ربه، وبالتالي فإن العلم الذي ذهب موسى ليتعلمه عن الخضر عليه السلام هو نوع آخر من العلوم يرتكز إلى معرفة أمور غيبية متعلقة بتطبيقات عملية، ولها علاقة بالأحداث اليومية وشؤون الحياة، ولا علاقة لها بأمور التشريع، وإن هذا المفهوم قد وضح في سياق القصة وفي سبب النزول.

إن الآية الكريمة تنص على أن علم العبد مصدره الوحي الإلهي، ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، وأن هذا العلم الذي جاء ذكره في الآية قد تحصل للرجل الصالح من ربه، ولم يصل إليه على شكل فيوضات روحانية أو مشاعر رحمانية غير محددة المعالم، كما يظن بعض غلاة الصوفية الذين يدعون أنه يتحصل لهم مثل ذلك العلم بدون وحي مباشر من عند اللّه.

ان الاعتقاد بأن العلم اللدني يتحصل على شكل فيوضات روحانية غير محددة قد يؤدي ببعض المتصوفين إلى قبول كل ما يدور في خاطرهم من مشاعر، وقد تكون تلك المشاعر من وسوسة الشيطان الذي يصيب أي إنسان إلا الرسول الكريم محمداً ﷺ، لأن شيطانه قد أعانه اللّه عليه فأسلم.

﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾[الكهف: ٦٦].

إن نبي اللّه موسى هو النبي المرسل في ذلك الزمان، وهو أولى بأن يتبعه جميع المؤمنين في حينه، وإن طلب موسى من الرجل الصالح أن يقبله تابعا له اشارة إلى أن الإمارة في الأمور العملية والتنفيذية والمهمات المحدودة تكون للأعلم وللأنسب للمهمة، وليس للأفضل بشكل عام، وإن في هذا منهجا جديرا بالاهتمام والتأمل والتطبيق في موضوع العلاقة بين الدعاة والأمراء. وحيث إن لدى الرجل الصالح علما يريد موسى أن يتعلمه منه، فإن موسى قد عرض على الرجل الصالح أن يكون أميرا للرحلة، وأنه سوف يسمع ويطيع، وهو في ذلك قدوة لكل مسلم مهما علت مكانته.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧-٦٨].

إن الرجل الصالح قد حدد جانب الصعوبة التي سيشعر بها موسى في الرحلة لما يعلمه من عدم قدرته على الصبر على الأمور التي لا يحيط بتفاصيلها، وبخاصة إذا كانت تصطدم في ظاهرها مع التشريعات المنزلة من عند اللّه على موسى عليه السلام.

إن في هذا إشارة إلى أهمية قيام الأمير أو المسؤول بتقديم توضيح لتابعيه عن الصعوبات والاحتمالات التي سيواجهونها وخاصة إذا علم أن فيهم ضعفاً أو قصوراً في ناحية تتعلق بالمؤهلات والامكانات اللازمة للقيام بتلك المهمة.

لقد أوضح الرجل الصالح لموسى عليه السلام شكه في عدم استطاعة موسى على الصبر معه، و لم يتهمه بعدم الاستطاعة على إطلاقها، وفي ذلك توجيه لمن يتولى الإمارة أن يكون لبقا في التعامل مع من يتبعه، وأن يكون

هدفه من التنبيه على جوانب الضعف عند تابعيه حَفزهم للانتباه إلى تلك الجوانب قبل بدء المسيرة، فإن علموا في أنفسهم قدرة ساروا معه، وإن كان غير ذلك اشترطوا أو رجعوا. ولقد وضحت تلك المنهجية في موقف الرسول الكريم يوم وقف يخطب في المهاجرين والأنصار قبل اتخاذ القرار بالحرب في موقعة بدر الكبرى.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلاَ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾[الكهف: ٦٩].

لقد بايع موسى على الطاعة ووعد بالصبر بعد أن علم أهمية الصبر والطاعة في هذه الرحلة.

﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلاَ تَسْئَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾[الكهف: ٧٠].

بعد أن استوثق الرجل الصالح من عزم موسى على التحلي بالصبر والالتزام بالطاعة، حدد له شرطاً يجب ان يلتزم به في هذه الرحلة، وهو ألا يسأله عن شيء حتى يخبره به الرجل الصالح في الوقت الذي يراه مناسبا لذلك. وفي هذا إشارة إلى حق الأمير ان يشترط كتمان بعض الأمور عن تابعه، وفي الآية أيضا ايحاء بأن مثل هذا الكتمان لا يكون مطلقا حيث يبقى للتابع الحق في أن يطلب توضيح الأمور بعد انتهاء المهمة أو المرحلة، أو عند العزم على المفارقة والمفاصلة.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾[الكهف: ٧١-٧٣].

لم يستطع موسى أن يصبر على فعل الرجل الصالح لأنه يتعارض مع

الشريعة التي يعلمها موسى عليه السلام، وبالتالي فإن عدم استطاعته الصبر ترجع إلى حرصه على نهي الرجل الصالح عن الإضرار بالناس، وإن هذا الحرص قد فاق اهتمامه بالالتزام بالشرط الذي اتفقا عليه في بداية الرحلة، لدرجة أنه نسي ذلك الشرط أمام شدة التزامه بمسؤوليته في النصح كنبي مرسل.

ولقد بدا أن التناقض بين اهتمام موسى بالقيام بواجبه كنبي مرسل، وبين الالتزام بالشرط الذي قبله قد أرهقه ووضعه في موقف عسير، وعلى الرغم من ذلك فإنه قد اعتذر عن الإخلال بالشرط، لأنه يعلم أن الرجل الصالح مأمورمن ربه بالقيام بهذا العمل.

﴿فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا، قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا، قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾[الكهف: ٧٤-٧٦].

لقد استنكر موسى القتل بغير حق، و لم يعتذر عن نسيانه في هذه المرة، لأن الأمر لا يحتمل السكوت، وان كان متذكرا لشرط الرجل الصالح. وبدا أن موسى لم يعد واثقا من نفسه في الصبر على مثل هذه الأمور، ولذلك طلب منه أن يتجاوز عن ذلك الإخلال بشرط المصاحبة للمرة الأخيرة.

إن في هذا قدوة لمن لا يستطيع أن يصبر، وأن يلتزم بوعده بأن لا يثقل بالإصرار على المصاحبة مع كثرة النقد والاعتراض والشقاق، بل يحسن أن يفارق بإحسان.

وفي الآية إشارة إلى أدب المفارقة عند الاختلاف بين الدعاة من خلال تحديد الأسباب ودون اتهام أو تجريح.

﴿ فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[الكهف: ٧٧].

● ينقض: ينهدم .

في هذه المرة لم يرتكب الرجل الصالح خطأ من وجهة نظر موسى بل فعل معروفا لقوم لئام لا يستحقون في الظاهر ذلك المعروف. وفي هذا إشارة إلى أن الانسان لا يستطيع أن يصبر على أمر غير منطقي دون أن يعرف علته، وإن كان عملا خيرا. ان في هذا تعليماً وتوجيهاً لكل أمير بأن يحرص على توضيح علة مثل تلك الأعمال التي تبدو غير منطقية ليتجنب تساؤلات أتباعه واستنكارهم. إن موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل لم يتحمل مثل هذه الأمور من الرجل الصالح، فكيف بمؤمن لم يبلغ تلك الدرجة، وإن في هذا إعذاراً لمن لم يستطع الصبر على أمر يرى فيه مخالفة أو انحرافا عن الحق.

﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكهف: ٧٨].

وفي نهاية الرحلة وفّى الرجل الصالح بالتزامه بتقديم التوضيح عن تلك التصرفات التي لم يستطع موسى عليه السلام أن يصبر عليها، وإن في ذلك قدوة لكل داعية إلى الله بأن يفي بالشرط الذي أخذه على نفسه قبل أن يطالبه أحد بالوفاء به سواء كان رئيسا أو أميرا.

﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا، وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا، وَأَمَّا

الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكهف: ٧٩-٨٢].

لقد كشفت صفحة الغيب في هذه الآيات انسجام عمل الرجل الصالح مع المنطلقات الشرعية والمنطقية والإنسانية، فلا يجزع رجل الدعوة لما يرى من أحداث لا يجد لها تعليلا ولا تفسيرا، ويجب عليه أن يكون مؤمنا بأن اللّه سبحانه وتعالى لا يغيب عنه شيء ولا حدث في هذا الكون، وان الصبر على عدم وضوح العلة في بعض الأمور يعتبر صفة ضرورية لنجاح الدعاة إلى اللّه في مهمتهم ومسيرتهم في هذه الحياة.

إن الداعية إلى اللّه يحتاج إلى الصبر على عدم وضوح العلة في بعض تصرفات الذين يعملون معه في مجال الدعوة والإصلاح ما دامت هناك ثقة في دينهم وإخلاصهم، وأن يتحرى معرفة العلة في الأمور التي بدت فيها مخالفة شرعية ظاهرة قبل أن يتهم أو يظن بأحد سوءا.

المجموعة التاسعة

قصة ذي القرنين: الآيات (٨٣ - ٩٩)

يمثل ذو القرنين أنموذجا لرجل الدعوة عندما يتم له التمكين فيصبح حاكما.

لقد كان تحركه شرقا وغربا بهدف نشر دعوة الحق وإقامة العدل ودفع الظلم ومساعدة المحتاجين.

وأما مسيرته نحو السدين فكانت من أجل حماية الأمة من عدوان جيرانها يأجوج ومأجوج لكثرة اعتداءاتهم وإفسادهم في الأرض.

وهكذا تشير الآيات الواردة في قصة ذي القرنين إلى واجبات الداعية إلى اللّه عندما يتحقق له التمكين في الأرض، وهي:

١ - الدعوة إلى اللّه ونشر الدين.

٢ - إقامة العدل.

٣ - تقديم العون والمساعدة للبلاد الفقيرة التي يفتحها.

٤ - العمل على حماية الأمة من عدوان المفسدين.

﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا، إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾[الكهف: ٨٣-٨٥].

هذه الآيات تشير إلى أن التمكين يتم بقدر اللّه وتقديره الحكيم. وأن اللّه

قادر على أن يمد عباده الصالحين بأسباب القوة في كل مجال. وأنه يجب أن يقوم الحاكم المسلم بواجباته في كل مجال وفي كل اتجاه، وان ذا القرنين يقدم القدوة في ذلك.

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ، قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا، وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾[الكهف: ٨٦-٨٨].

لقد كانت الغلبة والهيمنة لذي القرنين على بلاد الغرب، وأصبح الخيار أمامه مفتوحا بأن يعذبهم أو يحسن إليهم بحكم انتصاره عليهم.

لقد أعطى ذو القرنين القدوة لكل حاكم مسلم مؤمن بأن يلتزم العدل في حكمه، فمن ظلم وتعدى فانه يعاقب ويعذب جزاء ظلمه، وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى، وسيجد من الحاكم المساعدة والتيسير في كل شأن من شؤونه.

إن في هذا إشارة إلى أهمية الاحسان وحسن المعاملة وحسن الخطاب مع من آمن من أهل البلاد التي يحتلها الحاكم المؤمن.

﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا، كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾[الكهف: ٨٩-٩١].

لقد تابع ذو القرنين فتوحاته حتى بلغ نهاية اليابسة شرقا حيث كانت تقيم في تلك البلاد أقوام تعيش في شدة من الفقر والحاجة وليس لهم من دون الشمس سترا.

لقد كان يعلم ذو القرنين شدة فقر هؤلاء قبل فتح بلادهم وذلك إيحاء قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾، وفي هذا إشارة إلى أن فتوحاته في الشرق لم تكن من أجل الثروة والغنائم، ولكن كانت من أجل نشر دين اللّه وتقديم المساعدة لأهل تلك البلاد.

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً﴾ [الكهف: ٩٢-٩٣].

ثم توجه ذو القرنين بعد ذلك إلى منطقة ما بين السدين التي يجاورهم فيها أقوام متخلفون، ولا مجال للتخاطب معهم، ولا يكادون يفقهون ما يقال لهم، وبالتالي فإنه لا يوجد أمل في استجابتهم لدعوة الحق إذا فتح بلادهم واستولى عليها.

وفي هذا إشارة إلى أن أهداف الفتح عند الحاكم المؤمن هي نشر دين اللّه، وليس الاحتلال والسيطرة. فلما تأكد لذي القرنين عدم تحقيق الفتح لذلك الهدف بالنسبة لقوم يأجوج ومأجوج، فانه قد توقف عند ذلك الحد، ولم يفكر في غزوهم وفتح بلادهم.

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾[الكهف: ٩٤].

● خرجا: قسما من المال .

إن في الآية إشارة إلى أن من واجب الحاكم المؤمن أن يدفع عن أمته عدوان الأمم المجاورة وفسادها بالوسائل المشروعة والمناسبة، سواء أكانت سدا أم غير ذلك، وعلى الأمة أن تسهم في تحمل التكاليف لإقامة المشاريع

والإنشاءات الدفاعية.

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾[الكهف: ٩٥].

إن في هذا إشارة إلى الاعتقاد بأن اللّه يمكن ويعين في كل عمل فيه خير، وأنه بعد عونه تعالى تأتي أهمية عون البشر.

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[الكهف: ٩٦].

إن حماية الأمة من العدوان تعتبر مسؤولية مشتركة بين الحاكم والأمة، وإن في الآية إشارة إلى أنه يجب على الأمة أن تقدم الدعم المادي والبشري، وأنه يجب على الحاكم أن ينظم العمل، ويشرف على اجراءات تنفيذه ويمتلك المعرفة العلمية والتقنية المتقدمة التي تساعده على استكمال إجراءات حماية أمته وحدود دولته.

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾[الكهف: ٩٧].

لقد تحققت الحماية للأمة بذلك العمل الذي تم انجازه بتعاون الأمة مع الحاكم وتكامل جهدهما، وفي هذا إشارة إلى أن دفع عدوان أفسد الأمم وأقواها ممكن في حال وجود تعاون وثيق بين الحاكم وأمته في مواجهة ذلك العدوان.

﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا، وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾[الكهف: ٩٨-٩٩].

- دكاء: مبسوطا ومدكوكا .

- يموج: يختلط .

في الآية تنبيه إلى قضية إيمانية مهمة، وهي أن السد هو أحد جوانب رحمة اللّه، وأن على المؤمنين ألا يركنوا إلى الإمكانيات المادية وحدها وألا يغفلوا عن الاستعانة باللّه والالتزام بما أوصاهم به، حتى لا ترفع عنهم تلك الرحمة التي كان السد أحد جوانبها.

إن انهيار السد سيحدث في يوم من الأيام عندما ترفع الرحمة عن البشرية بسبب ضلالهم، فينهار السد، وتتعرض لإفساد قوم يأجوج ومأجوج، وتنتشر الفتن في الأرض، ثم ينفخ في الصور، فيكون البعث من القبور، ثم يجمع الناس للحساب.

المجموعة العاشرة

أسباب الضلال و الخلل في منهجية التفكير

الآيات (١٠٠ - ١٠٦)

توضح الآيات أسباب الكفر والضلال وتوضح جوانب الخلل في منهجية التفكير عند الكافر، وفيها إشارة إلى منهجية الإصلاح.

إن اختلال المعايير التي ينضبط بها حكم العقل بسبب الكبر أو الحسد أوهوى النفس يؤدي إلى خلل في منهجية التفكير، فيصبح حكم الإنسان على المفاهيم والأفكار التي تستقبلها حواسه فاسدا منحرفا، وكأنه لم يسمع حقا أو يبصر دليلا.

وأما من يتخذ من البشر أولياء يتلقى عنهم دون نظر وتمحيص فإنه يجمد منهجيته في التفكير، ويتجاوز المعايير التي ينبغي أن يرتكز عليها عقله في تقييم الأمور.

وتلك هي أسباب انحراف أهل الكفر والضلال وإعراضهم عن الاستجابة للحق الذي نزل به القرآن.

﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾[الكهف: ١٠٠].

إن جهنم ستعرض أمام الكافرين واضحة جلية يوم القيامة وإن تصور هذا المشهد سوف يهز نفوسهم مادام لديهم بقية من خيرفي هذه الدنيا هزا يدفعهم إلى استجلاء حقيقة هذا الدين. إن هذه الآية سوف تثير في نفس من

يتلوها عاصفة من الخوف تزلزل الحواجز التي تحجب عنهم الحق الذي نزل به القرآن.

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[الكهف: ١٠١].

إن إعراض هذا الصنف من الكفار عن الحق يرجع إلى خلل في منهجية التفكير ناتج عن أسباب ذاتية كالكبر أو هوى النفس أو الحسد، والتي حجبت عقولهم عن إدراك الحقائق التي تراها أعينهم أو تسمعها آذانهم.

إن منهج الهداية مع هذا الصنف من الكفار يبدأ بتحديد جوانب الانحراف والخلل الذي أفسد منهجية التفكير عندهم والعمل على إصلاحها لكي تصل حقيقة هذا الدين إلى عقولهم دون تشويه أو تعطيل.

إنه بدون إصلاح ذلك الخلل فإن الدعوة المباشرة لن تجدي في إصلاحهم إلا أن يشاء اللّه.

﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً﴾[الكهف: ١٠٢].

إن نزوع هذا الصنف من الكفار إلى اتخاذ أولياء من البشر والتلقي عنهم في كل أمر من أمور عقيدتهم سوف يؤدي إلى إيجاد الحواجز النفسية والفكرية التي تمنعهم من تقبل المفاهيم أو الأفكار أو العقائد، إلا ما يوافق عليه ويقبل به أولياؤهم، ويكونون بذلك قد عطلوا آلية التفكير التي وهبها اللّه لهم.

إن منهج الهداية مع هذا الصنف من الكفار يرتكز على تحريرهم من

الارتهان الفكري والنفسي للطواغيت، لكي يستطيعوا استقبال الحق الذي نزل به القرآن، وإن الذي ورد في هذه الآية تحفيز لهؤلاء الكفار، لكي يتحرروا من الارتهان للطغاة وأن يتعرفوا على حقيقة هذا الدين سواء أكان ذلك الطاغوت إنسانا أم جماعة أم دولة أم جنسا.

إن الفتوحات الإسلامية لم تكن تهدف إلى نشر الإسلام بالسيف كما يشيع أعداء الإسلام، وإنما كانت تهدف إلى تحرير الإنسان من الارتهان القسري الذي تفرضه الدولة الكافرة على شعبها، وتحول بينهم وبين حرية اعتناق الإسلام، والدولة الكافرة في هذه الحالة تقوم بدور الطاغوت الذي فرض نفسه على الأمة.

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا، ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾[الكهف: ١٠٣-١٠٦].

تخبر الآيات عن صنف من الكفار لا يرجى صلاحهم، لأن منهجية التفكير عندهم قد فسدت لدرجة أدت إلى إلغاء المعايير التي يرتكز عليها العقل في تقييم الأمور، وغشيت عقولهم وقلوبهم ظلال كثيفة من المفاهيم والأفكار والعقائد المنحرفة، فأصبحوا لا يدانيهم شك في أنهم على صواب في إعراضهم وكفرهم، وأنهم يحسنون صنعا بتمسكهم بكفرهم.

لم يعد لهؤلاء منهجية في الحوار، فاتخذوا السخرية من الآيات والرسل منهجا لمواجهة البيان الذي نزل به القرآن.

إن الالتزام بمنهجية السخرية يعني أن ذلك الكافر قد ألغى كل وسيلة

للحوار الذي يهدف إلى التعرف على حقيقة هذا الدين، فظلموا أنفسهم، ولذلك قال الله فيهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِأَيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾[الكهف: ٥٧].

المجموعة الحادية عشرة

العقيدة الصحيحة أسس ومرتكزات: الآيات (١٠٧ - ١١٠)

تشير الآيات إلى المفاهيم الأساسية للعقيدة الصحيحة الخاصة بالإيمان والعمل وبالرسالة وبالرسول وعلاقة ذلك بالخالق سبحانه وتعالى.

إن صحة العقيدة وسلامتها من الانحراف يستدعي صحة المفاهيم الأساسية التي ترتكز عليها العقيدة. وإن إدراك الداعية لتلك المفاهيم والعمل على إصلاح ما يصيبها من الخلل يؤدي إلى حماية العقيدة من الانحراف.

إن الآيات التالية تشير إلى المفاهيم الأساسية التي لا تصح العقيدة إلا بها وهي:

١ - الارتباط الوثيق بين الإيمان والعمل الصالح.

٢ - الاعتقاد بكمال الرسالة وتمامها، لأنها فيض من علم اللّه الواسع الشامل

٣ - إخلاص التوجه إلى اللّه والحذر من الشرك في الاعتقاد أو العمل.

﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً، خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً﴾[الكهف: ١٠٧-١٠٨].

- حولا: تغير إلى غيرها .

تشير الآية إلى شرط ارتباط الإيمان بالعمل الصالح لدخول الجنة، وبالتالي

فإن ضعف الإيمان أو ترك العمل يعتبر انحرافا عن المنهج القويم.

إن الخلل في مفهوم ارتباط العمل بالإيمان عند المسلم قد يؤدي إلى التهلكة كما في قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ** ... ﴾[البقرة: ١٩٥] الآية التي وردت في موضوع ترك الجهاد.

إن وضوح أهمية مفهوم ارتباط الإيمان بالعمل الصالح عند الدعاة إلى اللّه يحفزهم إلى تقديم القدوة في أنفسهم وتذكير المؤمنين بأهمية هذا المفهوم لصحة العقيدة وتحذيرهم من ترك العمل والتمني على اللّه الأماني معتمدين على الإيمان الذي يعمر قلوبهم من دون عمل وبخاصة تلك الأعمال الواجبة شرعا.

﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾[الكهف: ١٠٩].

تشير الآية إلى علم اللّه الواسع الذي يفوق اتساعه وشموله جميع تصورات البشر، وفيها بيان أن كلمات القرآن بحور علم لا نهاية لها ولا غاية لأمدها.

إن استقرار هذا المفهوم في قلب المؤمنين يلقي في أنفسهم الاطمئنان إلى كل ما نزل به القرآن والثقة بكمال هذا الدين وشموله لجوانب العقيدة التي يصلح بها دينهم ودنياهم لأنه علم اللّه الواسع الشامل.

إن اليقين بذلك المفهوم يحفظ المسلم من قبول تحريف أهل الكتاب وإضافات أهل البدع من المسلمين، ويزيل من نفوس أهل العلم والدعاة إلى اللّه غرورهم بعلمهم فلا يتجاوزون، ولا يبتدعون في هذا الدين.

﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ**

رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[الكهف: ١١٠].

تشير الآية الكريمة إلى المفاهيم الإيمانية التالية:

١ - أن الرسول بشر يتلقى الوحي من عند اللّه وليس فيه من صفات الإلهية شيء ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

٢ - أن ركني العمل المتقبل هما:

أ) أن يكون صوابا وفقا لشريعة اللّه وسنة نبيه. .

ب) أن يكون خالصا لله وحده، أي بريئا من كل ألوان الشرك.

قوله تعالى :﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾.

إن الاعتقاد بأن الرسول بشر يحافظ على عقيدة المسلم من الانحراف الذي يؤدي إلى الشرك الأكبر، وهو الانحراف الذي أفسد عقيدة النصارى بسبب رفعهم لمنزلة المسيح، وجعلها فوق مستوى البشر، ليصبح بعد ذلك إلها يعبد.

وإن اليقين بأن اللّه لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصا يراد به وجهه وحده لا شريك له، يحفظ عقيدة المسلم من الشرك الأصغر.

منهج الهداية والتمكين
للمستضعفين
في رحاب سورة القصص

موضوع السورة

يتمثل في سورة القصص أنموذج لمنهج رباني تحقق به التمكين للمستضعفين الذين واجهوا صنفين من الطغيان، **أولهما**: طغيان حكم ظالم مستبد ويمثله فرعون، **والآخر** طغيان المال المفسد الباغي، ويمثله قارون، وإن في القصص الذي ورد في هذه السورة إشارات إلى سنن النصر والتمكين، وتفصيلاً لمنهج المواجهة مع الطغيان.

إن السنن الإلهية لا يجري عليها القدم، وإن سنن التمكين كغيرها من السنن الثابتة لا يعتريها التعطيل على مر العصور إذا اكتملت مقوماتها المادية والمعنوية، وإن الإيمان والعلم والحكمة والصبر والإحسان هي أعظم مقوماتها المعنوية.

إن في نبأ موسى وفرعون إشارة إلى حالة الفساد التي تصيب الأمم بسبب ابتعادها عن هدي السماء، كما أصاب بني إسرائيل بسبب انحرافهم وضلالهم من بعد يوسف عليه السلام، فأورثهم ذلك الانحراف ذلاً وضعفاً وهواناً أدى إلى تسلط فرعون بظلمه واستبداده عليهم.

لقد أوردت القصة وصفاً لمنهج الهداية الذي جاء به موسى عليه السلام، والذي تحقق به الإصلاح على مرحلتين، تحصل في المرحلة الأولى إعداد موسى لحمل الرسالة وتلقي التكليف بالدعوة لعقيدة التوحيد والمطالبة بالإصلاح ورفع الظلم عن بني إسرائيل.

وجاءت المرحلة الثانية بعد هلاك فرعون ونزول التوراة ليكون فيها تبصرة وهداية، ويستكمل بها إصلاح عقيدة بني اسرائيل وسلوكهم ونظام

حياتهم، حتى إذا تحصلت لهم التزكية والالتزام بالشريعة التي جاء بها موسى عليه السلام، حقق اللّه لهم وعده، وجعلهم وارثين للأرض المقدسة التي بارك فيها.

إن الأنموذج الذي ورد في قصة موسى وفرعون وما ورد عليها من تعقيبات يمثل منهجا متكاملاً تتحقق به الهداية والإصلاح، ويتحقق به التمكين للمستضعفين، كما تحقق لبني إسرائيل وكما تحقق لرسالة الإسلام. قال تعالى: ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**﴾[القصص: ٥-٦].

وإن هذا يأتي منسجما مع الآية التي وردت في ختام هذه السورة الكريمة، والتي أنزلت على الرسول الكريم في طريق هجرته من مكة إلى المدينة، وفيها إشارة إلى ارتباط النصر والتمكين للمؤمنين بالتزامهم منهج الهداية الذي جاء به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾ [القصص: ٨٥].

لقد عرضت قصة موسى وفرعون صورة لممارسات فرعون الظالمة لتثير المشاعر الجياشة ضد ممارسات التمييز بين الناس والقتل وإهدار الكرامة في كل زمان ومكان، ولكي تتنبه العقول وتنشرح الصدور لتفهم المنهج الذي تحقق به التمكين لموسى على فرعون.

ان في هذا توجيها للمستضعفين ألا يتعجلوا الأمور، ولا يتعجلوا قطف الثمرة قبل نضجها، وأن يدركوا سنن اللّه التي أودعها في المجتمعات، ويعلموا

أن تلك السنن لا تتخلف، ولها صفة الديمومة، وأنها لا تحابي أحدا، فمن رعاها رعته، ومن ضيعها ضيعته.

انه بالهداية من اللّه يتحصل إدراك السنن، وتتحقق المعرفة بالمنهجية القادرة على مواجهة الاستبداد، وإن من أبرز تلك السنن، سنن الأولويات في الإعداد والتدرج في البناء، حيث كانت الأولوية فيها لرعاية موسى منذ ولادته، وكان هناك تدرج في إعداده مرحلة بعد مرحلة، ورعاية ربانية جعلته مؤهلا لمواجهة استبداد فرعون وسلطان قوته بسلطان الحجة المرتكز إلى الإيمان باللّه ودعوة الحق والعدل في معاملة العباد.

لقد أصبح موسى قادرا على تحييد سلطان القوة وسطوة الاستبداد، وذلك من خلال الانتقال بالصراع من ساحة أدواتها القوة والعنف إلى ساحات تتصارع فيها المفاهيم والعقائد والأفكار على مشهد من الناس جميعا، ليتعرفوا على دعوة الحق، ويشهدوا بأنفسهم عجز الاستبداد والاستكبار أمام سلطان الحجة وقوة الحق المنزل من السماء، بمنهج أعجز الطغيان أن يحبس الكلمة في الصدور، أو أن يعزل قائلها عن الناس.

إن المواجهة مع فرعون في ساحات الحوار المفتوحة قد أتاحت لدعوة الحق أن تواجه الظلم والاستبداد بخطاب يتحدى الكفر والإلحاد بالدعوة إلى التوحيد، ويطالب بالعدالة والمساواة ورفع الظلم والاستبداد، فتمايز الناس إلى دعاة توحيد وحق وعدل يواجه معسكر كفر وظلم واستبداد بسلاح الحجة والموعظة الحسنة.

إن ظهور دعوة الإيمان داخل قلعة الكفر والاستبداد، قد ارتكز إلى مفاهيم الإيمان ومبادئ العدل والمساواة التي نادى بها موسى وهارون، وإن

في هذا إشارة إلى أهمية سلاح الشعارات الصادقة من أجل تحقيق مطالب محددة ترتكز إلى المفاهيم الإيمانية الصحيحة والمبادئ والأفكار التي يتمثل فيها أنموذج المثل الأعلى. بهذا يتبين أن منهجية التمكين تقتضي وجود **إيمان راسخ** ابتداء، **وأهداف** واضحة جلية يدركها عامة الناس، ويدركون مدلولها وما يتحقق بها من إصلاح، إلى جانب **قيادة** يجتمع لها العلم والحكمة والإحسان.

أما قصة قارون فقد تمثل فيها طغيان المال والثروة على الرغم من أنه لا يملك وسائل الحكم المستبد، ولذلك كان إفساد المفاهيم وإضعاف ارتباط العامة بالمثل العليا هو الوسيلة للهيمنة على الناس، معتمداً على قابلية العامة للانحراف وتقبلهم للاستجابة لأهوائهم ودوافعهم الفطرية نحو المال وسائر المغريات الأخرى في غياب التربية الصحيحة.

لقد كان الناس يرددون المفاهيم والشعارات التي جاء بها موسى عليه السلام عندما قالوا لقارون: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [القصص: ٧٧]. ولكن لأن تلك المفاهيم والشعارات لم تكن قد تجذرت في عامة بني إسرائيل فهماً وسلوكاً، فلذلك بهرت بعضهم زينة قارون وأمواله فنسوا ما ذكروا به، قال تعالى: ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [القصص: ٧٩].

لقد حدث هذا الانحراف نتيجة لقصور في العلم والتربية التي ترتقي بحوافز الفرد وإرادته إلى درجة النضج والتزكية، فتجعله يتخذ الموقف الذي يمارس من خلاله تطبيقات المثل الأعلى في جميع أحواله، كما فعل الذين أوتوا العلم والذين صبروا وتمسكوا بتلك المبادئ والمثل العليا من بني إسرائيل، كما ورد

في الآية الكريمة: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾[القصص: ٨٠].

إن في قصة قارون إشارة إلى أن العناية بالأهداف العامة التي ارتكزت إليها المواجهة الفاعلة مع حكم فرعون المستبد لا تكفي وحدها لتزكية الأفراد وحمايتهم من الانحراف بعد أن تتحقق للأمة حريتها ويزول الاستبداد، إنه لا بد من الاهتمام بالتربية لتتحقق التزكية، وترتقي إرادة الخير والتمسك بالمثل العليا، فلا تكون تلك الإرادة ضعيفة أمام الهوى والمغريات، أو مفرطة في مواقفها تركب العنف والتعسف.

أما الآيات التي وردت في ختام السورة فإنها تشير إلى المفاهيم الإيمانية التي يتحصل بإدراكها صياغة عقيدة صحيحة من خلال التأكيد على أن مصدر الهداية هو القرآن. وصفاء العقيدة من الشرك، وأن لله الهيمنة المطلقة في هذا الكون، إلى جانب اليقين بأن كل شيء هالك إلا اللّه، وأن الخلق جميعاً سيعرضون عليه يوم القيامة.

إنه بهذه المفاهيم الإيمانية يكون المؤمن مؤهلاً للقيام بواجب الدعوة إلى اللّه، ويصبح قادراً بعون اللّه على مواجهة البغي والاستبداد، ويصبح بصفاء عقيدته عصياً على محاولات الهيمنة أو الإفساد.

وهكذا تقدم السورة منهجاً يصلح الأرض بوحي السماء، ويصلح العقيدة بمفاهيم الإيمان، ويرسخ مبادىء الحق والعدل عند الإنسان، ويزيل الظلم والبغي والاستبداد بثورة إيمانية قرآنية دون أن تكون الثورة والحقد الأسود والتطرف الأعمى وسيلة لإزالة الطغيان والاستبداد.

إن التأمل في هذه السورة الكريمة مع استحضار موضوع التمكين

للمستضعفين ومواجهة الطغاة محور جامع للهداية فيها، يؤدي إلى الشعور بوحدة الموضوع في السورة، ويتحصل به فهم أشمل، وإدراك أكمل لمقصود الهداية في كل آية من آياتها، وسيبدو ذلك أوضح ما يكون مع استعراض مجموعات الآيات في هذه السورة وهي كما يلي:

(١) الآيات ١ – ٦	ممارسات الطغيان و سنن التمكين للمستضعفين.
(٢) الآيات ٧ – ٢٨	سنن الأولويات في الإعداد والتدرج في البناء لمواجهة الاستبداد.
(٣) الآيات ٢٩ – ٣٥	الرسالة والتكليف بمواجهة الاستبداد.
(٤) الآيات ٣٦ – ٤٢	طبائع الاستبداد، وعاقبة الظلم والفساد.
(٥) الآيات ٤٣ – ٧٥	منهج الهداية، وإصلاح المفاهيم.
(٦) الآيات ٧٦ – ٨٤	طغيان المال والمواجهة مع البغي والفساد.
(٧) الآيات ٨٥ – ٨٨	مفاهيم إيمانية، يرتكز إليها منهج المواجهة مع البغي والاستبداد.

المجوعة الأولى

ممارسات الطغيان

وسنن التمكين للمستضعفين: الآيات (١ - ٦)

تعرض الآيات الكريمة (١-٦) وصفاً لممارسات الحكم الظالم المستبد من أجل أن تثير المشاعر ضدها، وتصرف الأمة عنها، ولكي يحذر الحكام والأعوان ممارسة شيء منها، إضافة الى الوعد بالتمكين لمن يهتدي من المستضعفين.

إن إدراك السنن التي أوردتها هذه السورة الكريمة يلقي السكينة في النفوس، ويعلق القلوب بالأمل المقترن بالعمل، فلا يكون هناك يأس ولا استكانة ولا قبول بذل أو مهانة، بل مواجهة للمستبد بمنهج الهداية.

﴿ طسم، تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[القصص: ١-٣].

إن في هذه الآيات الكريمة كشفاً واضحاً جلياً عن نبأ عظيم، وتفصيلا لقصة موسى وفرعون، وفيها موعظة ونفع لمن يتلو هذا القرآن ويصدق بما ورد فيه.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

إن فرعون حاكم ظالم مستبد، وقد كانت له الممارسات البشعة التالية:

١ - العلو في الأرض وادعاء الألوهية.

٢ - جعل الناس أصنافا وطبقات، وميز بعضهم على بعض وصرفهم جميعا في خدمته.

٣ - استضعف طائفة من الناس تحت حكمه، وبالغ في استضعافهم وتسخيرهم.

٤ - إهدار كرامة طائفة من الناس بسفك دمائهم، وهتك أعراضهم، فقد كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم.

وإن كل إجراء من تلك الإجراءات هو إفساد عظيم، وإن اجتماع تلك الممارسات هو غاية في الإفساد، وقد اجتمعت جميعها في حكم فرعون الظالم.

إن الآيات الكريمة قد أوردت هذا التفصيل عن تلك الممارسات ليعيها المؤمنون، فيحذر حكامهم وذوو النفوذ من جند وأعوان أن يقعوا في شيء منها وهم غافلون، وإن حدث شيء منها ففي هذه الآية تذكير وتحذير.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ، وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[القصص: ٥-٦].

إن بني إسرائيل قد تعرضوا للظلم والاستعباد سنين عديدة وأجيالاً متعاقبة، ثم كان قدر الله أن يمن عليهم بالهداية، فيكون منهم أئمة للهدى،

ليتحقق لهم الخلاص من ظلم فرعون، ويتحقق لهم التمكين، ويهلك فرعون وهامان وجنودهما، لأنهم كانوا جميعاً متواطئين على الظلم ومشاركين فيه.

إن في هذا تنبيها للمستضعفين بأن النصر يتنزل بعد أن تتحقق فيهم الهداية، لأن زوال الظلم دون وجود بديل من المؤمنين المهتدين لا يضمن عدم ظهور ظلم أكبر أو بغي أشد وأسوأ، وإن في الآيات إشارة إلى هلاك المتواطئين على ظلم العباد، سواءً أكانوا حكاماً أم أعواناً أم جنداً، وإن في هذا تحذيراً للأعوان والجند، لانهم محاسبون على ما أوقعوه من ظلم على الأبرياء، ولن يشفع لهم عند اللّه اعتذارهم بأنهم مأمورون.

المجموعة الثانية

سنن الأولويات في الإعداد والتدرج في البناء: الآيات (٧ – ٢٨)

إن في هذه الآيات إشارات بينة إلى سنن الأولويات في الإعداد والتدرج في البناء وتفصيلاً للمنهج الذي أصبح به موسى مؤهلاً لتلقي التكليف ومواجهة فرعون.

لقد تهيأ لموسى أن تكون له أم مؤمنة تقوم على تربيته تربية إيمانية صالحة، وتهيأ قصر فرعون بقدر من اللّه لاستقبال موسى وحمايته، ولينعم فيه بالحرية والأمان، ثم تحققت له الحكمة بالتجارب في مصر و في أرض مدين، ليكون مؤهلاً لتلقي التكليف وحمل رسالة الهدى.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[القصص: ٧].

تشير الآيات إلى الإلهام الإلهي لأم موسى بإرضاعه من أجل توثيق ارتباطه بها، ليكون ذلك سبباً لإعادته إليها، والتوجيه بإلقائه في اليم إذا خافت عليه، لكي لا تكون هناك صلة ظاهرة لموسى ببني إسرائيل، وكان ذلك سبباً لنجاته من الذبح.

إن في هذا تنبيهاً إلى أهمية الحكمة والنظرة البعيدة للأمور، وتغليباً لمنطق العقل ومتطلبات التخطيط السليم على منطق العاطفة من أجل مواجهة إجراءات الحاكم المستبد وممارسات الطغيان، مع التأكيد على أهمية اليقين بوعد اللّه ونصره للمؤمنين في معالجة مشاعر الخوف والحزن.

إنه بدون اليقين، سوف تضعف النفوس وتتغلب العاطفة على منطق

العقل وضرورات التعامل مع المواقف الحرجة، وان في هذه الآية إشارة إلى أهمية بث الأمل عند من يعيش حالة الخوف والحزن.

﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ، وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لاَ تَقْتُلُوهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ، وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلاَ أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص: ٨-١٠].

كان قدر اللّه أن يحفظ موسى من خلال إحاطته بمظهر الضعف المطلق، وأن يلجم شهوة فرعون في القتل بعاطفة امرأته نحو الطفل، وأن تتأجج تلك العاطفة بحرمانها من الولد، فتحقق بذلك لموسى أن يقيم في قصر فرعون وهم لا يشعرون أنه من بني إسرائيل، ولا يدرون أنه سيكون سبب هلاكهم.

لقد تحقق التثبيت لأم موسى نتيجة لصبرها وكظمها لمشاعر الحزن والقلق، فلم تبد أسفها وجزعها، فحفظ اللّه ولدها وكفل له إقامة آمنة كريمة في قصر فرعون، ثم جاءتها البشرى بأنه سيكون من المرسلين.

إن في هذه الآية إشارة إلى أن القدرة على الكتمان تعتمد على تلاحم الصبر مع الإيمان، وتلك من سنن التمكين.

﴿ وَقَالَتْ لأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ، وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ، فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[القصص: ١١-١٣].

إن في متابعة أخت موسى لما يحدث، وتسللها بين المراضع، وحسن

تصرفها حين عرضت عليهن أن يعيدوه إلى أمه كي ترضعه وهم لا يشعرون، إشارة إلى أهمية المتابعة الحثيثة والمبادرة السريعةفي التعامل مع القضايا المهمة في الأوقات الحرجة، وتذكيراً للمؤمنين بأن الخير يتحقق بالأخذ بالأسباب مع اليقين بحكمة اللّه في قضائه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون حكمة اللّه المحمودة في أفعاله وخاصة عندما تكون كريهة للنفوس أو شاقة عليها.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[القصص: ١٤].

إن موسى عليه السلام قد بلغ أشده واستوى عقلاً، وتحققت له صفة الإحسان، فكان جديراً ومؤهلاً أن يؤتيه اللّه الحكمة والعلم.

إن العلم يتحقق للإنسان بالتلقي، أما الحكمة فإنها تكتسب بالتجربة لمن تحققت له صفة الإحسان، لأن صفة الإحسان هي الأساس الذي يصلح به إدراك الأمور، والوعاء الذي تنقى به التجارب من الشوائب، لأنها تعني إرادة الخير والإخلاص على مستوى **النية**، والصواب في فهم الأمور وحسن الإدراك على مستوى **العقل**، إلى جانب الإتقان على مستوى **العمل** مع السلامة من الهوى أو الضعف والانحراف.

ان صفة الاحسان قد تحصلت لموسى بالتربية الصالحة، وان الحكمة قد تحققت له بالتجربة في مصر وأرض مدين، فأصبح بذلك مؤهلاً لتلقي العلم بالنبوة، ولقد أوردت الآيات التالية تفصيلاً للأحداث التي مر بها موسى، فأكسبته حكمة تحقق له بها إتقان منهج التفكير، وأصبح محصناً من الاستجابة للدوافع العفوية والغرائز التي لا تنسجم مع صفة الإحسان، فأصبح يحسن التعامل مع الأحداث، وتحقق له بذلك حسن الاختيار الواعي في كل

الأمور دون أن ينفعل أو يركب التعسف أو يستسلم وينهار.

﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلاَنِ هَـذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾[القصص: ١٥].

إن موسى عليه السلام كان محسناً وحريصاً على معالي الأمور، ولكن غلبت عليه شهامته فاستجاب لاستغاثة مظلوم من بني إسرائيل، وأقبل على الرجل الظالم فضربه بقبضة يده فقتله غير قاصد قتله، فأدرك موسى خطأه وتبرأ من ذلك الفعل ليؤكد على طهارة نفسه من السوء، وأدرك أن الشيطان زين له الاندفاع لنصرة المظلوم ليوقعه في خطأ جسيم، وبذلك ظهرت له عداوة الشيطان وإضلاله.

إن في هذا توجيهاً إلى وجوب تحري العدل في الخصومة وعدم تجاوز هذا المفهوم تحت غطاء مواجهة الظلم دون ارتكاز إلى حكم الشرع وضوابطه، وعدم تجاوز الحد في الخصومة.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾[القصص : ١٦-١٧].

انه بعد أن أدرك موسى خطأه واستشعر المسؤولية عن تصرفه، توجه الى ربه يستغفره فغفر له، لان الله يغفر الذنوب لمن صدق في توبته، لقد تجاوز موسى مرحلة الاقرار بخطئه ومحاسبة نفسه واستغفار ربه بأن عقد العزم على تزكية ارادة الخير عنده، ليصبح منزها عن الاستجابة لدوافع الغريزة أو الانفعالات العاطفية أو معاونة المجرمين في اجرامهم.

﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ

لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ، فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلاَّ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[القصص: ١٨-١٩].

لقد أدرك موسى أن الأمر يقتضي الخوف والحذر، فأصبح يمشي في المدينة خائفا يترقب، وفي هذا تعليم للمستضعفين المطاردين أن يعيشوا حالة الخوف والحذر عندما يواجهون الخطر، فلا يغامرون ولا يستهينون بالأمر، أو يضعف الواحد منهم بسبب الخوف وينهار.

إنه في الوقت الذي كان موسى يعيش حالة الخوف والحذر، كان الإسرائيلي الطائش يعيش سعيداً بنشوة النصر، فاشتبك مع فرعوني آخر، ثم استعان بموسى يستصرخه، وهو بذلك يوشك أن يفضح أمره، بدلاً من أن يستعين به بلباقة وحذر، ولذلك عنفه موسى بقوله إنك ظاهر الغواية كثير الشر، ليصرفه عما يقوم به من طيش وتهور، فظن الإسرائيلي لحماقته أن موسى سيبطش به، فثارت في نفسه نوازع الخوف والخصومة والغرور، وإنه لجبنه أفشى سر موسى ليحمي نفسه منه، ونازع موسى وانتقده ثم اتهمه بالجبروت والظلم ونفى عنه صفة الخير والصلاح.

إن في هذه الآيات مواعظ لمن يقود المواجهة مع الاستبداد، وتوعية له بطبائع العامة، لأن هؤلاء تقودهم عواطفهم ، ولا يحسنون تقدير الأمور، وأن كثيرا منهم لا وفاء لهم، في حال الخلاف لا يتورعون عن النقد والتجريح، ولذا فإنه يجدر الحذر عند الاستعانة بهم، وخاصة من كان منهم ظاهر الغواية كثير الشرور، لأنهم من الحكمة محرومون بسبب ما أصابهم من خلل في منهجية التفكير التي أحدثها الظلم والاستعباد، وأن هؤلاء بحاجة إلى التربية الصحيحة والتوجيه السديد قبل إشراكهم المواجهة مع الاستبداد.

﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[القصص: ٢٠].

جاء رجل يخبر موسى بما يجري في قصر فرعون، وأنهم يأتمرون به ليقتلوه، ونصحه بالخروج من مصر لينجو بنفسه، في هذا إشارة إلى أن بلاط الحاكم الظالم لا يخلو من الخيرين الذين يكرهون الظلم دون أن يظهروا أنفسهم، أو يعلنوا عن معارضتهم وتذمرهم من الظلم والاستبداد، وإن في هذا توجيهاً إلى أهمية حسن التعامل ودوام التواصل مع من يتوسمون فيهم الخير من العاملين عند الحاكم الظالم، وأن يستفيدوا من تعاطفهم وعونهم في دفع الظلم قبل أن يقع، مع لزوم التأكد من نصحهم وإخلاصهم، والحذر من مكر بعضهم وخداعهم وإن تظاهروا بالنصح والتعاطف.

﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[القصص: ٢١].

خرج موسى من مصر خائفا يترقب بعد أن علم بأن فرعون يبحث عنه ليقتله وكان هذا مقتضى الحكمة، ثم استعان باللّه فكان ذلك مقتضى الإيمان.

لقد تحصل لموسى بهذه التجربة الثرية حكمة في مواجهة الحكم الظالم المستبد . **وتبينت من خلالها الأمور التالية:**

١ - إن المؤهلات الذاتية من قوة وعقل، وحماس وصفات أخرى حميدة، لا تكفي بدون تجربة وحكمة في مواجهة الحكم المستبد.

٢ - إن مواجهة الحاكم الظالم المستبد بالتحدي والعنف بعاطفة (وإن كانت صادقة) دون إعداد وتهديف، تعطي المبرر لمزيد من الاستبداد والبطش والتنكيل بالمستضعفين.

٣ - إنه من الحكمة التزام الخوف والحذر، والهجرة إذا تأكد الخطر، وبخاصة إذا أصبح لدى الحاكم الظالم المستبد مسوغاً للظلم والاستكبار.

٤ - إن العامة من المستضعفين يستجيبون دوماً لعواطفهم، ولا يدركون عواقب الأمور، ولا يتصرفون بحكمة، وإن مسايرتهم تؤدي إلى تصعيد المواجهة دون تهديف.

٥ - وجوب تحري مبادئ الحق والعدل في الخصومة، وعدم تجاوز مبدأ العدل بعدوان على كل ذي صلة بالحاكم الظالم، لأن هذا يحشد له التأييد لمواجهة التهديد، ولأن تحقيق الأمن في منطق الرأي العام وعند عموم الناس مقدم على تحقيق العدل وانصاف المظلوم.

٦ - الاهتمام بالتواصل مع الناصحين الصادقين من العاملين في خدمة الطغيان، لأنهم قد يقدمون العون للمستضعفين، وقد يساعدون في دفع الأذى والظلم عنهم.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾[القصص: ٢٢].

لقد أخذ موسى بنصيحة الرجل الذي جاءه يسعى، فتوجه صوب مدين بدون دليل، فسأل ربه أن يهديه إلى الطريق الصحيح، وذلك مقتضى التوكل على الله.

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يُسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لاَ نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص: ٢٣-٢٤].

لما وصل موسى ماء مدين، وجد الرعاه يسقون مواشيهم، ورأى امرأتين تذودان غنمهما عن الماء، فسألهما بهدف مساعدتهما، فلما علم أن أباهما شيخ ضعيف، وأنهما تسقيان بعد أن يذهب الرعاة، تطوع بالسقي لهما نخوة وشهامة دون أن يطلب أجراً، ثم انصرف إلى الظل ليستريح، وسأل ربه أن يرزقه، وذلك مقتضى التوكل على اللّه.

لقد كان في سلوك موسى وشهامته ونخوته، تعريف به في غربته، وتعريف له بأهل الفضل في تلك الديار، لأنه « لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوو الفضل » كما ورد في الحديث الشريف.

﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لاَ تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[القصص: ٢٥].

جاءت إحدى الفتاتين تمشي على استحياء، وقالت إن أبي يدعوك ليكافئك على مساعدتك لنا، فأسندت الدعوة إلى أبيها، وعللت ذلك بالجزاء لتزول الريبة من نفس موسى. فلما جاء موسى وأخبر الرجل الصالح بقصته طمأنه وأزال خوفه.

إن في هذا المشهد إشارة إلى منهج تعامل الخيرين من أهل البلاد مع الغرباء رجالاً كانوا أو نساءً، وإن الحياء في السلوك دليل شرف وطهارة، واللباقة في القول مع الثقة في النفس دلالة فضل وكمال للفتاة.

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَئْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَئْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[القصص: ٢٦].

طلبت الفتاة من أبيها أن يستأجر موسى، وعللت طلبها باكتمال صفات الأجير الصالح فيه، وهي القوة والقدرة على العمل، والأمانة في السلوك والخلق، وإن في هذا توجيهاً للمستضعفين الغرباء أن يدركوا تلك الصفات ويحرصوا على التحلي بها، لأنها سبب للتكريم، وتتيح للغريب المحتاج فرصة العمل.

﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ، قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلاَ عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾[القصص: ٢٧-٢٨].

لما علم الرجل الصالح رأي ابنته في موسى وما يتحلى به من قوة وأمانة، عرض عليه أن يزوجه إحدى ابنتيه، واشترط عليه أن يعمل عنده ثماني سنين، فإن أتم عشراً فذلك فضل منه غير واجب عليه، ثم أبدى مشاعر العطف تجاهه وعزمه على حسن التعامل معه.

قبل موسى ذلك العرض الذي تحقق به المأوى والعمل الكريم والزوجة الصالحة بعقد معلوم مع رجل صالح، والذي تيسر بفضل التوكل على اللّه والاستعانة الصادقة به مع الأخذ بالأسباب.

ولقد بدا من قول موسى **﴿أَيَّمَا الأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾** أنه عازم على العودة إلى قومه، ودلالة على أنه خرج ليعود بعد حين.

إن تجربة موسى الثرية في أرض مدين، دليل حكمة لكل مهاجر فر من حاكم

ظالم مستكبر والتي نوجز جوانبها فيما يلي:

١ - ان يتحرى وجهة فيها أمان.

٢ - أن يسأل اللّه الهداية، وأن يستعين به في كل أمر.

٣ - أن يتحلى بالصدق والأمانة والنخوة والنشاط والقوة.

٤ - أن يكون مبادراً إلى عون الضعيف نخوة، وشهامة دون اشتراط الأجر.

٥ - أن يحافظ على حريته في كل عقد يبرمه، فيكون قادراً على العودة إلى بلده من أجل نصرة أمته.

المجموعة الثالثة

الرسالة والتكليف: الآيات (٢٩ - ٣٥)

لقد جاء الخطاب الإلهي الجليل مباشرا ليغشى اليقين قلب موسى، وتزول عنه الرهبة عندما يواجه فرعون، ثم جاء الوعد الإلهي بحماية موسى بسلطان ليزول عنه الخوف، وجاء الوعد بالغلبة بالآيات المعجزات.

قال تعالى: ﴿**سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ [القصص: ٣٥].

إن في هذا تعريفا بمنهجية الإعداد وكيفية التكليف لمن يواجه الحاكم الظالم المستبد، وفيها تنبيه إلى أهمية امتلاك وسائل الغلبة المعنوية والمادية التي تجعل الحاكم المستبد عاجزاً أن يرهبهم فيسكتهم أو يستكبر فيبطش بهم، ولو إلى حين، من أجل أن يتاح المجال أمام دعوة الحق فتعرف، وتلك من سنن التمكين.

﴿**فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ءَانَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾[القصص: ٢٩].

لقد أمضى موسى الأجل الأوفى مع الرجل الصالح في أرض مدين وسار بأهله عائداً إلى مصر، وفي ليلة ظلماء في طريق عودته تراءت له نار من جانب جبل الطور عن بعد، فقال لأهله امكثوا مكانكم لعلي آتيكم منها بشعلة تستدفئون بها.

﴿**فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن**

يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلاَ تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الأَمِنِينَ، اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلإِيهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص: ٣٠-٣٢].

لقد اقترب موسى من النار فلما وقف عند البقعة المباركة من شاطئ الواد الأيمن بالقرب من الشجرة، سمع نداء يخبره أن اللّه رب العالمين هو الذي يخاطبه، ثم جاءه الأمر أن يلقي عصاه من يده، فلما رآها انقلبت حية تتحرك كأنها جان، ولى هاربا و لم يلتفت خلفه لشدة خوفه، فجاءه النداء يأمره بأن يرجع، وأن لا يخاف، وأنه من الآمنين، فرجع موسى وأمسك بالثعبان، فارتدت عصا كما كانت.

بعد ذلك جاءه النداء يأمره أن يدخل يده في جيب قميصه ثم يخرجها، فوجدها بيضاء تتلألأ من غير أذى أو برص، ثم جاءه النداء يطلب منه أن يضم يده إلى صدره ليذهب عنه ما يشعر به من خوف.

لقد تحقق لموسى بهذا الموقف جرأة ورباطة جأش ومقدرة على الثبات في مواقف الخطر مهما تلبسه من خوف أو أحدق به خطر.

ولما ذهب عن موسى الخوف، كلفه ربه أن يذهب إلى فرعون بهذين الدليلين، لأن فرعون فاسق خارج عن طاعة اللّه، ولن يصدقه بغير دليل.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ، وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ، قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾[القصص: ٣٣-٣٥].

لقد تلقى موسى التكليف، ولكنه أبدى مخاوفه لربه، قال رب إني قتلت من آل فرعون نفساً وأخاف أن يقتلوني بسببها فيتوقف البلاغ، فأجابه ربه إلى طلبه وهو أعلم بحاجته، فأرسل معه أخاه هارون يشد عضده، وأخبره بأنه تعالى سيجعل لهما سلطاناً يحفظهما من بغي فرعون، وأنهما ومن تبعهما بالآيات غالبون.

إن في هذه الآيات الكريمة إشارة إلى منهج إلهي في التكليف بالمهمات الخطيرة، وإلى المنهجية النبوية الصادقة في تلقي التكليف وجواز الإشارة إلى جوانب الضعف و القصور لتلافي ذلك القصور، وإن في هذا تعليماً للمؤمنين أن يقيموا الأمور، ويراجعوا المواقف، ويستكملوا الإعداد، ثم يسألوا اللّه العون والمساعدة لأنه يحب أن يسأل، وإن سئل أجاب.

إن في قوله تعالى: ﴿**وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلاَ يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِأَيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ**﴾ [القصص: ٣٥]. إشارة إلى أن الحماية تتحقق بعون من اللّه، وأن الغلبة تتحقق بالآيات المعجزات من عنده، وإن في هذا توجيهاً وتنبيهاً للمستضعفين بأن يسألوا اللّه العون، وأن يعملوا من أجل أن يمتلكوا وسائل الغلبة المادية والمعنوية التي تتحقق بها الحماية والوقاية من الطغاة وتلك من سنن التمكين.

المجموعة الرابعة

طبائع الاستبداد وعاقبة الظلم والفساد: الآيات (٣٦-٤٢)

ان من طبائع الاستبداد أنه يعرض الظالم عن الحق وان جاءه الدليل، ويطرح أسباباً ومسوغات واهية للكفر والاعراض، لانه يتبع هواه ولا يقبل التخلي عن السلطة والنفوذ.

وتورد الآيات الكريمة وصفاً لمنهج فرعون في المكر والتدبير لمحاصرة دعوة الحق بالتعالي والتشكيك والكذب من أجل تضليل الامة، لترضى عن ممارسات الظلم والطغيان ولا تعارض البطش والتنكيل بالمشتضعفين.

وتلك هي منهجية الطغيان على مر العصور، ثم تسير الآيات بعد ذلك إلى عاقبة من يمارس الاستبداد ومن يشارك في الظلم من أعوان وجنود، وأن هؤلاء عليهم اللعنة في الدنيا ، ولهم الخزي والعذاب يوم العرض والحساب.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَى بِأَيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَائِنَا الأَوَّلِينَ، وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾[القصص: ٣٦-٣٧].

إن موسى عليه السلام جاء آل فرعون بالآيات ودعاهم إلى الإيمان وأخبرهم أنه جاءهم بالهداية من عند الله، ولكنهم أنكروا ذلك بدعوى أن ما جاء به كان سحراً، وكذبوا بالرسالة لأنهم لم يسمعوا عن مثل ذلك من آبائهم الأولين.

لما رفض آل فرعون الاستجابة لدعوة الحق حاورهم موسى بالحجة ومنطق العقل، فقال لهم: إن الله بعثه من أجل هدايتهم، وإن الادعاء بعدم

العلم عند آبائهم لا يصلح أن يكون دليلاً لإنكار رسالة أنزلت من بعدهم أو مبرراً لعدم استجابتهم، ثم خوفهم موسى من عاقبة الكفر و الإنكار وأخبرهم أن الفلاح في الآخرة لا يكون إلا لمن آمن، وأن من يكفر يظلم نفسه وتكون عاقبته خسرانا.

إن في هذه الآيات إشارة إلى منهج النبوة في الدعوة إلى الهدى، من خلال الدعوة إلى الإيمان، ثم بالحوار وتقديم الدليل بالحجة والمنطق، إلى جانب الدعوة إلى التأمل والتدبر وإعمال الفكر، لأنها وسيلة الحوار مع كل كافر يتحرى الهداية، وتشير الآية إلى أن ذلك كله لا يجدي مع من أنكر واستكبر.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٨-٣٩].

تورد الآيات وصفاً لمنهج فرعون وإجراءاته في المكر والتدبير، لمحاصرة دعوة الحق ومنعها من الانتشار من خلال التضليل والتشكيك، وليتحصل لفرعون التسويغ لإجراءاته الظالمة ضد موسى ومن آمن معه.

لقد اشتملت خطة فرعون على مرحلتين، أولاهما مرحلة التضليل، والثانية مرحلة الاستكبار.

أما مرحلة التضليل فقد اشتملت على الاجراءات التالية:

١ - ادعاء الألوهية ليكون الإيمان بفرعون بديلاً للعامة عن الإيمان باللّه، فيصبح فرعون في موقع التقديس، ويصبح هو مصدر التشريع والتوجيه. **﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي. .. ﴾** [القصص: ٣٨].

٢ - بناء صرح عظيم يعلو به ويصبح في موقع المتحدي لعظمة اللّه في نظر الناس، وليبهرهم به، ويصرفهم عن الاهتمام بالمعجزات التي جاء بها موسى، فينصرفوا عن الإيمان برسالته.

﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [القصص: ٣٨].

٣ - اتهام موسى بالكذب، يشكك به الناس في رسالة موسى عليه السلام، وبخاصة من لم يشهدوا تلك المعجزات، وبذلك يصرف الناس عن التصديق بالرسالة: ﴿وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

فلما تحقق لفرعون ما أراده من تضليل للأمة، انتقل إلى مرحلة الاستكبار ليبطش بموسى ومن آمن معه، وليردع من يفكر في الإيمان برسالته.

﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٩].

ويبقى مكر فرعون أنموذجاً يحتذي به الطغاة في مواجهة دعوة الحق إذا ظهر أمرها، وأقبل الناس عليها، وذلك من خلال تعظيم القيم المادية كالزعامة أو الوطنية أو القومية، لتكون تلك القيم مرجعية التقديس عندهم، وتصبح بديلا عن الولاية لله، أومن خلال استعراض الانجازات الكبيرة أمام الناس، لتبهرهم، ولتصرفهم عن إدراك عظمة الخالق وآلائه العظيمة وعن الاهتمام بدعوة الحق التي تكرس مفاهيم الايمان.

أما التكذيب والإعلام الكاذب بأساليبه المتطورة على مر العصور، فهو وسيلة الطغاة في تضليل الأمة والهيمنة على الرأي العام، وذلك من خلال

تشويه دعوة الحق واتهام المصلحين وتهيئة الأمة لتقبل إجراءات الطغيان في مرحلة الاستكبار والبطش والتنكيل بالمصلحين.

﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ، وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾[القصص: ٤٠-٤١].

إن اللّه سبحانه وتعالى قد أخذ فرعون وجنوده بظلمهم واستكبارهم ، فأغرقهم جميعاً في البحر ليكونوا عبرة لكل ظالم يأتي من بعدهم.

إن جند فرعون قد أطاعوه، فتحملوا وزر حمايته، ووزر الظلم الذي أوقعوه على المستضعفين، ولذا فإنه سيقودهم إلى النار يوم القيامة، لأنهم قبلوا أن يقودهم إلى الظلم والبغي في الحياة الدنيا، وأنهم لن يجدوا حينئذ من ينصرهم أو يمنع عنهم العذاب.

إن اللعنة ستلازم آل فرعون وتلاحقهم، وستتجدد اللعنة عليهم كلما جاء ذكرهم أو ذكر حاكم ظالم مستبد مثلهم، كما أن اللّه جل وعلا سيقبح وجوههم، ويسودها يوم القيامة جزاء ظلمهم وبغيهم واستبدادهم.

إن فطرة البشر تمقت الظلم والاستعباد، وإن هذه الآيات الكريمة تغرس في نفس المؤمن مفهوماً معادياً للظلم والاستبداد.

إن فرعون وجنوده لعنوا على لسان جميع الأنبياء من بعد موسى للتأكيد على سوء فعل فرعون ليراجع كل ظالم سلوكه وسلوك جنده، ويعلم أنه محاسب على كل ظلم يأمر به، وأن الجند والأعوان محاسبون على كل ظلم يوقعونه وهم يعلمون، ولا يشفع لهم أنهم مأمورون، كما لم يشفع ذلك لجند فرعون.

المجموعة الخامسة

منهج الهداية و إصلاح المفاهيم: الآيات (٤٣ – ٧٥)

إن الهداية لا تتحقق إلا بصحة العقيدة، وبإصلاح المفاهيم المنحرفة التي كرسها الضلال والظلم والاستبداد، وان العقيدة الصحيحة لا تصح بإيمان مجرد عن اليقين بصدق الرسول ومرجعية الرسالة، لأنهما مصدر الإلهام لإصلاح المفاهيم المنحرفة ومعالجة أسباب الضلال عند الأمة، وانه من غير هذا لن يزول الاستعداد للرضى بأنماط الاستبداد المتغيرة والمتجددة التي تبتلى بها الأمم.

إن الآيات التالية قد أوردت تفصيلاً لمنهج الهداية الذي يتحقق به إصلاح العقيدة وإصلاح المفاهيم الفاسدة عند المستضعفين، وتتخلص به الأمة من الثقافات والقوانين الفاسدة والسلوك المنحرف الذي أوجده الاستبداد، وتنهل منه برامج التربية للأمة، وتتحصل به التزكية والارتقاء بإرادة الخير وإصلاح منهجية التفكير التي تحميها من انحراف العقيدة أو الفكر أو السلوك، وتحفظها من التخبط أو التطرف أو الضعف في التحرك إلى المدى الذي يحقق الأهداف العليا.

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣].

تشير الآية الكريمة إلى ارتباط نزول التوراة بهلاك فرعون وزوال الاستبداد، لأن التربية الصحيحة والتزكية للمؤمنين لا تكتمل إلا في بيئة الحرية التي تتاح فيها التربية والتذكير والحوار، وحرية الاختيار الواعي لطريق

الهداية والرشاد.

إن في هذا تنبيهاً إلى أن الكتاب المنزل يحوي منهج هداية للبشر، واشارة الى حاجة المستضعفين إلى التشريع الذي يصحح عقيدتهم، ويصلح سلوكهم ومنهج حياتهم، بعد زوال الاستبداد.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ، وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ، وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، وَلَوْلاَ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلاَ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[القصص: ٤٤-٤٧].

لقد جاء في الآيات خطاب إلى الرسول الكريم يخبره عن أحداث لا يعلمها أحد في عصره، ومنها قصة النداء والخطاب الإلهي لموسى، وقصة أهل مدين، ليكون في ذلك دلالة على صحة رسالته عند أهل الكتاب، وإشارة إلى أنه أرسل رحمة للناس ليذكرهم وينذرهم لعلهم يهتدون، لكي لا يكون بعد ذلك حجة أو عذر لمن كفر.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلاَ أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ، قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ، فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٨-٥٠].

لم يستجب الذين كفروا لدعوة الحق، و لم يؤمنوا بصدق الرسالة، لأنها

لم تؤيدها معجزات ظاهرة كما أيدت رسالة موسى عليه السلام، فجاء الرد عليهم بأن الإيمان لا يتحصل بالمعجزات لمن عاند واتبع هواه، ودليل ذلك أن آل فرعون لم يؤمنوا مع موسى حين شاهدوا المعجزات.

إن إعجاز القرآن ظاهر في ذاته، وأنه تعالى قد تحدى الذين كفروا أن يأتوا بقرآن مثله، فلما عجزوا عن ذلك قالوا بإنه سحر، فتطابق موقفهم مع موقف آل فرعون حين وصفوا المعجزات بأنها سحر.

إن صدق الرسالة لا ينقصه الدليل، ولكن علة إنكار الذين كفروا هي في اتباع الهوى، وإن اتباع الهوى يحجب عن القلب نور الإيمان، ومن حجبه الهوى عن الهداية يكون قد ضل باختياره وظلم نفسه، وإن اللّه لا يهدي من ظلم نفسه.

إن في هذا إشارة إلى خطر الهوى على الإيمان ودعوة إلى مغالبة الهوى في كل شأن وكل أمر، وأن من يتنزه عن الهوى تتحقق له التزكية، وتتحصل له القدرة على مواجهة استبداد غيره من البشر.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ، الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ، وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ، أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥١-٥٥].

إن هذا القرآن قد تتابعت آياته، وتواصلت مواعظه، ليكون فيه تذكرة للناس لعلهم يهتدون.

تشير الآيات الكريمة إلى فئة صالحة من أهل الكتاب سمعوا القرآن فآمنوا به، فاستحقوا لذلك أن يؤتوا أجرهم مرتين.

إن في قول هذه الفئة المؤمنة أنهم كانوا قبل ذلك مسلمين إشارة إلى صدق إيمانهم بالكتب المنزلة قبل نزول القرآن، وأن أتباعها جميعهم مسلمون، وأن الذي دفعهم إلى ترك الشرائع السابقة واتباع رسالة خاتم الأنبياء هو التحري المستمر عن الحق والحرص على اتباعه.

إن هذه الفئة المؤمنة تعطي القدوة بالصبر على الأذى والتسامح فيه، وبإنفاق أموالهم في وجوه الخير، وإذا سمعوا اللغو من الذين كفرو لم يردوا عليهم إساءتهم وإنما ذكروهم بعاقبة تعديهم يوم الحساب بهدف تخويفهم وتذكيرهم عاقبة الكفر في الآخرة، ثم يحيوهم بالسلام تحية مفارقة تدل على حسن الطوية والسلامة من العداء، ثم يوضحون للذين كفروا أن سبب إعراضهم عنهم هو جهالتهم وسفاهتهم، وليس مجرد كفرهم، لأن مجرد الكفر لا يمنع اللقاء والحوار بهدف الهداية، وأما في حال السباب والجهالة فإنه ينتفي هدف الهداية، ويصبح اللقاء مع الكافرين الجاهلين مدعاة لتصعيد الخلاف والعداوة، ولذلك قالوا لهم: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين، ولم يقولوا لهم لا نبتغي الكافرين.

إن هذه الفئة المؤمنة تمثل أنموذجاً يحتذي به المؤمنون المستضعفون في الحرص على تحري الحق واتباعه، واللباقة والكياسة في التعامل مع المستبدين الجاهلين الذين يملكون الجرأة والقدرة على العدوان والبطش والتنكيل بالمؤمنين.

وخلاصة القول أن المؤمنين لا يعرضون عن الجاهلين لذاتهم أو لكفرهم،

ولكن بسبب جهالتهم على الدين، فإن توقفوا عن الجهالة جاز التواصل معهم بهدف هدايتهم وتذكيرهم بالآخرة وإظهار الحرص على مسالمتهم وعدم التصادم معهم، وتلك من سنن التمكين.

﴿ إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

إن هداية التوفيق للإيمان وانشراح الصدر للإسلام لا تتحصل للإنسان إلا بإذن اللّه ومشيئته، وشرطها إخلاص النية وصدق التوجه إلى اللّه والحرص على اتباع الحق المنزل من عند اللّه.

إن في الآية الكريمة تنبيهاً إلى إدراك الفارق بين هداية الدعوة والبيان التي يحملها الرسل والمصلحون إلى كل إنسان، وبين هداية التوفيق للإيمان. إن في الآية أمراً بإدراك ذلك الفرق وتحذيراً من الانسياق وراء الأمل أو اليقين بحتمية هداية من نحب إلى الإيمان، لأن هذا يؤدي إلى تجاوز مفهوم ارتباط الهداية للإيمان بمشيئة اللّه، وإن التجاوز عن هذا المفهوم في بيئة الاستضعاف، قد يسبب ضررا أو يحدث خيبة أمل للمستضعفين إذا علقوا الامل على إيمان من يحبون.

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[القصص: ٥٧].

تقدم الآية أنموذجاً من الناس يعرضون عن الإسلام خوفاً من التعرض للعدوان بسبب اتباعهم للهدى الذي جاء به الإسلام، وإن في هذا إشارة إلى أحد أسباب الحرمان من الهداية للإيمان على الرغم من أن إعراضهم لم يكن عداوة للإسلام. ولقد فند اللّه حجة هؤلاء بأن الرزق والأمان قد تحقق لهم

بفضل جوارهم لبيت اللّه الحرام، وإن في هذا إشارة تطمين بأن االرزق والأمان سيتحقق للمؤمنين كما تحقق لهؤلاء بجوارهم للبيت الحرام.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ، وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلاَ تَعْقِلُونَ، أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لاَقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٥٨-٦١].

تَلْفِتُ الآيات الكريمة الانتباه إلى هلاك القرى في سابق العصور بسبب كفر أهلها بالرسل، وظلمهم لأنفسهم بإعراضهم عن دعوة الحق التي حملها الرسل إليهم، وإن فيها تحذيراً من العذاب في الآخرة لكل من ظلم وكفر، وتنبيهاً لمن يخشى على رزقه وأمنه بأن اللّه أعظم وأولى أن يخشاه من كفر.

إن وضوح هذا المفهوم لدى المستضعفين واليقين بقدرة اللّه على الظالمين والمستبدين والتعلق بوعد اللّه في الآخرة يلقي في نفوسهم الطمأنينة والأمان.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ، قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ، وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾[القصص: ٦٢-٦٤].

إن الشرك هو أخطر مفهوم يفسد الإيمان، وهو وسيلة الشيطان لإضلال البشر، ووسيلة الاستبداد للهيمنة على العباد، ولقد أشارت الآيات إلى تخلي الشركاء عمن تبعوهم عندما يعرضون على اللّه يوم القيامة، وأن هؤلاء

الشركاء يتبرأون من مسؤولية إضلالهم، لأن هؤلاء قد ضلوا باختيارهم ومحض إرادتهم، وحينئذ سيدركون مغبة غفلتهم والاستجابة لمن دعاهم إلى الشرك والضلال.

إن في هذا المشهد وعظاً وتخويفاً لمن أشرك، وتنبيهاً لخطر الاستجابة للشرك، وتحذيراً لهم ممن يضلونهم، لأنهم يوم القيامة سيتبرأون منهم.

فإذا تخلص المستضعفون من الشرك بربهم، وتعلقت قلوبهم بخالقهم ، فحينئذ تزول كل هيمنة للاستبداد عليهم.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ، فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لاَ يَتَسَاءَلُونَ، فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾[٦٥-٦٧].

إن الوقاية من الشرك والضلال تتحقق باتباع الرسل وما نزل من الحق، وإن الذين أشركوا سيصابون بالذهول عندما يسألون عن سبب إعراضهم، وأما الذين تابوا وآمنوا وعملوا الصالحات فان في التوبة فلاحاً لهم.

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ، وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ، وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالأَخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٦٨-٧٠].

تشير الآيات الكريمة إلى المفاهيم التي يصح بها الإيمان ويصبح منزهاً عن شوائب الشرك، ولتكتمل القدرة على مواجهة الاستبداد، وهي كما يلي:

١ - اليقين بأن إرادة اللّه في خلق الأشياء طليقة، وليس هناك لأحد أن يختار على اللّه شيئاً، بل هو الذي يختار، وهو أعلم بوجود الحكمة في أفعاله،

لأنه منزه عن أن يكون له شريك، وبهذا المفهوم يتهاوى تعالي المتألهين والمستبدين الظالمين في نفوس المستضعفين.

٢ - اليقين بإن اللّه يعلم ما في الصدور كعلمه بما ينطق به اللسان.

إنه بهذا المفهوم يصلح فساد القلوب وتخلص النفوس من كل انحراف أو فساد أو شرك لإدراكها أن اللّه مطلع على الخفايا والنوايا في القلوب.

٣ - إن اللّه هو المستحق للعبادة وحده، وله الحمد في الدنيا على نعمه وهدايته، وهو المحمود في الآخرة على عدله وحسن جزائه.

٤ - اليقين بأن لله القضاء النافذ في كل شيء، وهو فعال لما يريد، وأن مشيئته تامة نافذة في جميع المخلوقات، وله الأمر والتشريع في الدنيا وإليه يكون الرجوع في الآخرة، ليحكم بين العباد بعدله، ولا مبدل لحكمه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللَّـهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلاَ تَسْمَعُونَ، قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ، وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١-٧٣].

تشير الآيات إلى حقائق كونية تدل على قدرة اللّه وعظمته وفضله على العباد، ليستقر الإيمان في القلوب وتعمر به النفوس، وليتجدد ذلك الإيمان مع تتابع الليل والنهار بإدراك عقلي يتحصل للإنسان بما يرى ويسمع.

وإن في هذا إشارة إلى آثار رحمة اللّه بحفظ نظام هـذا الكـون لتتجـه إليـه القلوب بالرجاء وبالشكر، مع التعظيم والإجلال، فلا يشغلها عن ذلك تعظيم العظماء أو التوجه إليهم بالرجاء، وبهذا تتخلص النفوس من الشرك، وتصبـح عصية على الانصياع لمن يتعالى أو يستبد.

إن الإيمـان باللّـه مـع إدراك النواميـس الـتي تسـيرها قـدرة اللّـه وعظمتـه وحكمته في هذا الكون يتجاوز بالمؤمن حدود المكان، ويعبر به آفاق الكون ، ليتحقق اليقين بالخالق، ويتجه إليه المؤمنون بالشكر والرجاء.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ، وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٤-٧٥].

يأتي النداء الأخير للمشركين يـوم القيامـة ويسـألهم سـبحانه وتعـالى عـن الشركاء الذين أضلوهم في الدنيا، ويأتي اللّه بالأنبياء ليشهد كل نبي على أمته بأنه أبلغها الرسالة ودعاها إلى الإيمـان الخـالص، ثـم يدعـى المشـركون ليـأتوا بدليل على صحة ما كانوا عليه من شـرك وطغيـان واسـتبداد وفسـاد، فلمـا عجزوا عـن ذلـك وغـاب عنهـم مـا كـانوا يفـترون مـن الكـذب والضـلال، ووجدوا أن الحجة قد قامت عليهم، علموا أن الحق لله وأنه سـيحكم عليهـم بالعذاب حقاً وعدلاً بسبب شركهم وضلالهم.

وفي تفسير هذه الآيـة أشـار بعـض العلمـاء إلى أن المقصـود بالشـهيد هـو زعيم الكفر والضلال في الأمة، لأنه كان يقـود مسيرة الشـرك في أمتـه وهـو أعلمهم بما اعتقد اتباعـه مـن عقـائد فاسـدة ومـا عملـوا مـن أعمـال منكـرة، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿ ، وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّـةٍ شَـهِيدًا ﴾ حيـث النـزع يفيـد

الشدة والعنف والإذلال، وهو وصف لا يتناسب مع الكرامة والتكريم للأنبياء عند اللّه.

إن في وصف هذا الموقف، وما يلقاه المشركون المستبدون يوم القيامة من اذلال يطمئن المؤمنين، فلا يهنوا ولا يضعفوا ولا يحزنوا إذا أصابهم ظلم أهل الضلال، وبغي المستبدين، وتلك إحدى مقومات الإعداد لمن يواجه الاستبداد.

المجموعة السادسة

طغيان المال والمواجهة مع البغي والفساد: الآيات (٧٦ - ٨٤)

إن طغيان المال وبغي الثروة لا يتحقق بوسائل الحكم المستبد ابتداءً لأنه لا يملكها، وإنما تتحصل الهيمنة من خلال إفساد المفاهيم ورفع قيمة المال من أجل أن يتخلى الناس عن المبادئ والمثل، فيستجيبوا لنداء غرائزهم وميولهم الفطرية في حب المال وكل ما يتحصل بالمال من وسائل الترف والمغريات. إنه بذلك تتسع دائرة نفوذ المال وتمتد إلى مواقع اتخاذ القرار، ويصبح للمال هيمنة على جميع مجالات الحياة من إعلام وسياسة وثقافة وفكر.

لقد ورد في قصة قارون تفصيل لمنهج الهيمنة على بني إسرائيل من خلال إفساد المفاهيم، حتى أصبح بعضهم يقولون: إن قارون لذو حظ عظيم. وتشير الآيات إلى دور أهل العلم ومنهجهم في مواجهة انحراف الأمة، وبغي أهل الثروة والمال من خلال الوعظ والتذكير والارتقاء بإرادة الخير عند الناس، حتى إذا ما زال ذلك البغي بخسف كما حدث لقارون أو بجهد من فعل البشر، فانه يتحصل للأمة وعي وتزكية تحميها من عودة بغي أو طغيان من نوع آخر.

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ،وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الأَخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾[القصص: ٧٦-٧٧].

إن قارون كان من بني إسرائيل فتعالى عليهم وتجاوز الحد في الكبر والتجبر بما آتاه الله من أموال وفيرة وكنوز كثيرة، فقال له قومه: لا تأشر ولا تبطر، وذكروه بأن الله لا يحب البطرين الذين لا يشكرون نعمة الله.

وتشير الآية إلى وسيلة شكر اللّه على الغنى بفعل الحسنات والإنفاق في الطاعات، إلى جانب التمتع بالحلال مع البعد عن البغي والتطاول على الناس، وعدم استعمال هذا المال في المعاصي والإفساد في الأرض لأن اللّه لا يحب الفساد.

إن في الآية إشارة إلى أن وعي الأمة هو ركيزة مواجهة طغيان المال والثروة، وأن الوعظ والتذكير هو وسيلة الإصلاح لهؤلاء البغاة المفسدين، وتشير الآيات إلى ممارسات أصحاب الأموال وبغيهم من أجل أن يعلمها الأغنياء من المؤمنين، فيحذروا من الوقوع في شيء منها، ويدركها الفقراء فيرفضوها ولا يقبلوها، **وإن من أبرز تلك الممارسات ما يلي:**

١ - التعالي على الأمة والتكبر عليها بما تملك من أموال.

٢ - البخل وعدم الإنفاق في الطاعات.

٣ - الإفساد في الأرض بالمعاصي والتطاول على الناس.

﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَن هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨].

لم يعترف قارون بأن لله فضلاً عليه في تحصيل المال، لأنه لا يريد أن تتقيد حريته في التصرف بما يملك من مال، وقال إنما أوتيته على علم عندي، ليشعر قومه بعجزهم مقابل تميزه بالعلم والخبرة عليهم من أجل أن تتحقق له الهيمنة عليهم.

ويأتي التذكير في هذا الموقف بما أصاب أمماً قوية غنية سبقت، ليكون فيها موعظة لقارون وكل طاغية وباغ على مر العصور، ويكون فيها تخويف من فجآءة الهلاك وزوال الثروة، وما ينتظرهم يوم القيامة من عذاب بسبب إجرامهم، وأن هؤلاء المجرمين لن يسألوا عن ذنوبهم لأن معاصيهم تقدم أدلة

دامغة على إجرامهم.

﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[القصص: ٧٩].

تشير الآية إلى نهج قارون في إضعاف ارتباط الناس بالمثل العليا ليتحصل له امتلاك زمام التأثير والهيمنة عليهم، وذلك من خلال استعراض زينته وأمواله أمامهم.

لقد خرج عليهم ذات يوم في زينته العظيمة في موكب حافل بهر ضعفاء الإيمان الذين لم ترتق الحوافز الإيمانية عندهم لدرجة النضج والتزكية فانخدعوا ببريق الثروة وزينة الدنيا وزخارفها، فدل ذلك على انحراف المفاهيم عندهم فانقلبوا وقالوا عن قارون الباغي إنه ذو حظ عظيم.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾[القصص: ٨٠].

إن بغي المال يتعاظم بضعف الإرادة وغفلة الأمة عن القيم، ولقد أشارت الآية الكريمة إلى قيام أهل العلم بواجب الإصلاح، ومواجهة البغي والفساد وإصلاح المفاهيم والتذكير بقيم الإيمان، لترتقي حوافز المؤمنين إلى درجة النضج والتزكية، ثم بالدعوة إلى عمل الصالحات وترك الشهوات لترتقي إرادة الخير عندهم، ثم بالدعوة إلى الصبر والاستمساك بتطبيقات المثل الأعلى في واقع حياتهم، لأنه لا يتحصل دخول الجنة بدون الصبر.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلاَ أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ

الْكَافِرُونَ﴾[القصص: ٨١-٨٢].

لقد خسف اللّه الأرض بقارون وبداره وكنوزه عقاباً له على تعاليه وبغيه وفساده، فعجز عن إنقاذ نفسه و لم يجد أحداً يعينه أو ينقذه.

لقد قال الذين تمنوا منزلة قارون بعد هلاكه: أيقنا بأن الرزق بيد اللّه يبسطه بحسب مشيئته وحكمته، لا لأن للغني عند اللّه كرامة أو منزلة، وأنه سبحانه وتعالى يضيق الرزق على من يشاء قضاءً وحكمة منه، لا هواناً لشأن الفقير عنده، ثم حمدوا اللّه على رحمته بهم، وأنه لم يعذبهم جزاء غفلتهم، وشكروه على الهداية بعد الضلال، وأيقنوا أنه لا فلاح لمن كفر.

وهكذا تحققت الهداية والنجاة للغافلين بفضل من اللّه وجهد مخلص من العلماء العاملين الصابرين.

﴿تِلْكَ الدَّارُ الأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلاَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [القصص: ٨٣-٨٤].

بعد مشهد التوبة الرائع الذي تجدد فيه مفهوم الغنى والفقر في يقين المؤمن، والذي فاضت من روعته القلوب بالشكر لله على رحمته وهدايته، والإعلان عن صدق التوبة إلى اللّه والأوبة إلى محراب الإيمان، تشير الآية إلى وعد اللّه بالتكريم للمتقين الذين انصرفوا عن التعالي والفساد، واجتهدوا في تزكية إرادة الخير في نفوسهم، وتعلقت بحب الخير قلوبهم، فأقبلوا على عمل الصالحات وانصرفوا عن فعل السيئات.

ويشير التعقيب في هذه الآية الكريمة إلى عدل الرحمن وكرمه وأنه تعالى يضاعف الحسنات للمحسنين، ولا يعاقب المسيء إلا بما فعل.

المجموعة السابعة

مفاهيم إيمانية: الآيات (٨٥-٨٨)

تشير الآيات الواردة في ختام السورة الكريمة إلى مفاهيم إيمانية يتحقق بها صحة العقيدة ووضوح منهج الهداية الذي جاء به القرآن.

إنه بصفاء العقيدة من الشرك، واليقين بأن اللّه مالك الملك، وأن لله القضاء النافذ على الخلق، يتحصل للمؤمن حرية من قيود ذاته وضعف نفسه أمام سلطان الهوى، ويصبح قادراً على مواجهة البغي والطغيان والاستبداد.

وإن اليقين بأن كل شيء يفنى، وتبقى ذاته المقدسة، سوف يزيل من النفس التعلق بحطام هذه الدنيا الفانية، كما أن الإيمان بأن الخلق سيعرضون على اللّه يوم القيامة، وأنهم على أعمالهم محاسبون، سيخلص النفس من التراخي والتهاون والتخاذل، وسوف يحفظها بالإخلاص، من الانحراف عن منهج الحق، ويدفعها إلى العمل بهذا القرآن، في مواجهة البغي والاستبداد.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[القصص: ٨٥].

لما خرج النبي ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة أنزلت عليه هذه الآية الكريمة التي تشير إلى الأمور التالية:

١ - تؤكد الآية على أن اللّه قد فرض العمل بهذا القرآن.

٢ - الوعد من اللّه تعالى للرسول الكريم بالعودة إلى مكة فاتحاً في موعد

يقدره الله ويعلمه.

٣ - الارتباط الوثيق بين فتح مكة وبين العمل بهذا القرآن.

٤ - اليقين بأن الله أعلم بمن جاء بالهدى من عنده وهو الرسول الكريم، وأنه سبحانه وتعالى عالم بمن هو في ضلال مبين بسبب إنكارهم للحق.

وهكذا حملت الآية الكريمة إلى النبي ﷺ وعداً بالنصر والتمكين له وللمؤمنين بشرط الالتزام بمنهج الهداية الذي جاء به القرآن الكريم.

﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾[القصص: ٨٦].

تشير الآية الكريمة إلى الرحمة التي تحققت بنزول القرآن على الرسول الكريم فاهتدت بنوره العقول والقلوب، ثم جاء التعقيب بقوله تعالى: **﴿فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ﴾** للتحذير من الغفلة عن هدى القرآن الكريمو لأن ذلك سيؤدي إلى خلل في العقيدة وانحراف في الفكر والسلوك وتنزلق بالمؤمنين إلى مسايرة أهل الكفر والضلال ومناصرتهم.

إن دوام استشعار الرحمة التي تمثلت بنزول القرآن والهداية التي تتحقق بالاستمساك به سوف تحفظ المؤمن من الانحراف والضلال وتحميه من أن يصبح ظهير للكافرين.

﴿وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[القصص:٨٧].

لقد جاء في الآية تحذير من الاعراض عن آيات الله التي أنزلت على الرسول الكريم وأمر بالدعوة إلى الله ولإبلاغ الرسالة للناس جميعاً، ثم جاء التعقيب على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ليشير إلى أن عدم الاستجابة لهذين الأمرين شرك أو يؤدي بالمؤمن إلى الشرك.

إن توحيد الربوبية يقتضي الامتثال لكل ما نزل به القرآن، وإن المخالفة تعني إشراك غير الله في التشريع للعباد، وبالتالي فإن شرك الربوبية سوف يفسد عقيدة المسلم إذا ما ترخص أو تساهل في الالتزام بما بينه القرآن من حلال وحرام وما جاء من أمر أو نهي سواء كان ذلك استجابة لهوى النفس أو طاعة لكافر أو مشرك.

وحيث أن الدعوة إلى الله هي وسيلة البلاغ للناس وهدايتهم، فإن الترخص أو القعود عن القيام بواجب الدعوة وبيان ما نزل من الحق سواء كان ذلك استجابة لهوى النفس أو خوفاً من أذى الناس أو بطش الطغاة فإنه يدخل المؤمن في دائرة الشرك.

إن العزم على الالتزام بشرع الله الذي نزل به القرآن دليل على صحة العقيدة وقوة الإيمان، كما أن القيام بواجب الدعوة إلى الله هو وسيلة اصلاح الأمة بالتوعية والتعبئة من أجل مواجهة الطغيان وإزالة الاستبداد.

﴿ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

إن في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ ﴾ ، نهي عن التوجه بالعبادة أو التوسل أو الاستعانة بأحد سوى الله، لأن البراءة من الشرك خلاص للمؤمن من ضعفه وخضوعه لأحد سوى الله.

ويأتي التأكيد على توحيد الألوهية في قوله تعالى: ﴿ لا إله إلا هو ....﴾ لأنه بصحة العقيدة وقوة الإيمان يتحصل للمؤمن استعلاء على الضعف والهوان، وقوة وقدرة على مواجهة الظلم والاستبداد.

وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ ...﴾ فإنه يملاء النفس بالاطمئنان إلى زوال الظلم والطغيان، ويؤنسها باستشعار النظر إلى وجه ربها الكريم الذي تتبدد بنوره ظلام الطغيان فلا يصيبها يأس ولا هوان.

وقوله تعالى: ﴿لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ يذكر المؤمنين بقضاء الله على الخلق، وأنه سيكون إليه مرجعهم جميعاً يوم القيامة فيجزيهم بأعمالهم، إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر، فتنشأ بذلك لدى المؤمن مناعة نفسيه عالية في مواجهة الطغيان، فلا يضعف ولا يميل مع الهوى ولا يستجيب للإغراء لأن الأعمال ستعرض يوم القيامة أمام الملك الديان.

المراجع

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز - لـ مجدالدين الفيروزباوي
- تفسير ابن كثير
- تفسير الجلالين
- تفسير ظلال القرآن - سيد قطب
- تفسير كلمات القرآن - محمد حسنين مخلوف
- رياض الصالحين.
- صفوة التفاسير. الشيخ محمد علي الصابوني
- علوم القرآن الكريم - د. عبدالكريم زيدان.
- كيف نتعامل مع القرآن - الشيخ محمد الغزالي.
- مقومات الشخصية المسلمة - الدكتور ماجد عرسان الكيلاني
- من موضوعات سور القرآن الكريم - عبدالحميد محمود طهماز
- نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم - الشيخ محمد الغزالي.

١- كفر الاستكبار:..... ٤٨
٢- كفر الشرك باللّه:..... ٤٩
٣- كفر جهالة بغير علم:..... ٥٠
٤- كفر إعراض وتكذيب:..... ٥١
المجموعة الثامنة: قصة موسى والرجل الصالح: الآيات (٦٠ - ٨٢)..... ٥٥
المجموعة التاسعة: قصة ذي القرنين: الآيات (٨٣ - ٩٩)..... ٦٣
المجموعة العاشرة: أسباب الخلل في منهجية التفكيرالآيات (١٠٠ - ١٠٦)... ٦٩
المجموعة الحادية عشرة:العقيدة الصحيحة أسس ومرتكزات (١٠٧-١١٠)..... ٧٣

منهج الهداية والتمكين
للمستضعفين في رحاب سورة القصص

المجموعة الأولى:ممارسات الطغيان وسنن التمكين للمستضعفين: الآيات (١-٦)..٨٥
المجموعة الثانية: سنن الأولويات في التدرج في البناء: الآيات (٧ - ٢٨)..... ٨٩
المجموعة الثالثة: الرسالة والتكليف: الآيات (٢٩ - ٣٥)..... ٩٩
المجموعة الرابعة: طبائع الاستبداد وعاقبة الظلم والفساد: الآيات (٣٦-٤٢). ١٠٣
المجموعة الخامسة: منهج الهداية و إصلاح المفاهيم: الآيات (٤٣ - ٧٥)..... ١٠٧
المجموعة السادسة:طغيان المال والمواجهة مع البغي والفساد:الآيات(٧٦-٨٤).. ١١٧
المجموعة السابعة: مفاهيم إيمانية: الآيات (٨٥-٨٨)..... ١٢١
المراجع..... ١٢٥
المحتويات..... ١٢٦

المحتويات

مقدمة: بقلم الأستاذ الدكتور أحمد حسن فرحات..... ٥

مقدمة: بقلم الدكتور عبدالستار أبو غدة..... ٧

مقدمة المؤلف: منهج الدعاة إلى الله في رحاب سورة الكهف..... ١٣

فضل سورة الكهف

وتحديد محور الهداية فيها

المجموعة الأولى: مفاهيم إيمانيـــة للداعية: الآيات (١ - ٨)..... ١٩

أ) مفاهيم تتعلق بالعقيدة:..... ١٩

ب) مفاهيم تتعلق بالصبر والثبات..... ١٩

المجموعة الثانية : قصة أصحاب الكهف: الآيات (٩ - ٢٦)..... ٢٣

أصحاب الكهف: دعاة في مجتمع يحارب الدعاة إلى الله..... ٢٣

المجموعة الثالثة: في ظلال قصة أصحاب الكهف: الآيات (٢٧ - ٣١)..... ٣١

توجيهات للمؤمنين الدعاة في مجتمع يحارب الدعوة إلى الله.. ٣١

المجموعة الرابعة: قصة صاحب الجنتين: الآيات (٣٢ - ٤٤)..... ٣٧

المجموعة الخامسة: في ظلال قصة صاحب الجنتين: الآيات (٤٥ - ٤٦)..... ٤٣

المجموعة السادسة: مشاهد يوم القيامة: الآيات (٤٧ - ٤٩)..... ٤٥

المجموعة السابعة: أصناف الكفار وعاقبة أمرهم: الآيات ٥٠ - ٥٩..... ٤٧